

روايات عالمية
بين الشرق والغرب
البعوضة

البعوض

تأليف وليم فولكنر

تعريب دكتور جمال الدين الرمادي

وليــــم فولـــــكنر

● ولد وليم فولكنر فى ٢٥ من سبتمبر عام ١٨٩٧ فى ولاية مسيسبى .

● التحق فترة قصيرة بجامعة المسيسبى .

● التحق بالســــــلاح الجوى فى الحــرب العالمية الأولى .

● عاش فترة من الوقت فى نيواورليانز بولاية لويزيانا حيث اتصل بالكاتب الأمريكى المعـــروف « شرويد اندرسون » .

● ظفر بجـــائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٥٠ .

« البعـــــوض »

● من أهم اعماله الادبية قصة « البعوض و رواتب الجنـد والصوت والغضب والمعبد وغريب فى الطين وهاملت وسرتوس » .

● استمد قصصه من حياته الخاصة ، حيث عمل فترة من الوقت صيادا للاسماك ، كما اشتغل نجارا وصائدا للطيـــور فى أوقات فراغه .

● من أشهر أقواله الأدبية : ليس شرطا ان يعتزل الأديب العالم لكى ينتج مادة طيبة ، فالمادة الجيدة جيدة فى اى مكان ، والموضوعات الجيدة لابد ان تشق طريقها الى الرواج .

● كما قـــال وليــم فولكنـــر :

لابد للأديب فى بداية عهده بالكتابة ، قبل أن يصيب نجـــاحا من عمل آخر ، يكتسب منه عيشه .

وقـــــال كـــذلك :

ان التزام نظام معين فى الانتـــاج الادبى يجرد هذا العمـــل من المتعة التى لاغنى عنها .

● توفى فى ٦ من يوليو عام ١٩٦٢ عن خمســة وستين عاما .

قال مستر تاليافيرو :

ـ ان الطبيعـــة البشرية قـوية عندي ، ولا يمكن ان تقوم الصداقات الا عليها .

فاجاب صـــاحبه :

ـ نعم هذا حسن .. هل تتفضل بالابتعاد قليلا .

واستجاب تاليافيرو لهذا الطلب وراح ينظر الى الغبار الذي ضــلا حذاءه ..

وقال محـــدثا نفسه :

ـ يجب على المـرء أن يدفـــع ثمنـا للأدب .

وأخذ يراقب صاحبه ثم استأنف كلامه :

ـ ان الصراحة تدفعني الى القول بأن الطبيعـة البشرية هي الشيء الذي يسيطر على نفسي .

واعتقد تاليافيرو ان الكلام مع شخص يوازيه من حيث الذكاء والنضج العقلي قد يدفعه الى الافضاء بكثير من الحقائق عن النفس مما لايمكن نشرهـا .

وقال صـــاحبه مرة أخرى :

ـ هـــذا حســـن ..

فقال تاليافيرو بسرعة :

ـ العفـــو ..

ثم استعاد توازنه ، وانتقـــل الى مكان بعيد ، وراح يضرب أكفـــا بكف .

غير أن صاحبه تجـــاهله تماما .

وقد بدت « نيواورليانز » عبر النافذة في صورة قاتمة باهتة تشبه غانية لاتزال تحتفظ بمسحة من جمالها .

وقد جلست في الغـــرفة وتعالت فيها سحب الدخان .

وكان الصيف يخيم على المدينة بحرارته بعد انقضاء فصل الربيع ، وعما قريب سيحل شهر اغسطس ومن بعده سبتمبر — غير ان شباب مستر تاليافيرو لم يعد يشغل باله .

وكانت ارض الغرفة مؤلفة من الواح خشبية ليست مستقيمة وفيها جدران ملونة ، بطريقة بشعة ، ويتخللها نوافذ جميلة ، ولابد أن يكون قد عاش فى هذه الغرفة عبيد خدموا بكرامة . ولكنهم الآن انتقلوا الى دار الخلود .

وقليل من الناس يقبلون الخدمة دون المساس بكرامتهم .

وما يجذب الاهتمام فى هذه الغرفة هو انك ترى جسد الفتاة من الرخام بدون رأس ، أو يدين أو ساقين .

ولا يستطيع المرء أن يحول نظره عنه .

وراح صاحب المنزل المثال يضع اللمسات الأخيرة على التمثال ثم نهض واقفا وراح يحرك يديه وعضلاته .

وخفت الضـــوء ..

وكان ينتظـــر انتهـاء المثـال من عمـــله .

ونهض تاليافيرو ونظر الى صاحبه بوجه كالصقر .

وأبدى تاليافيرو أسفه لأن كم معطفه ازعج صاحبه وقال :

— هل أخبر السيدة مورير بأنك قادم .

فقـــال الآخـــر :

— ماذا ؟ياللجحيم .. انامامى عملا لابد منالقيام به ،واخبرها بأننى لا أستطيع الحضـور ؟.

وأصيب تاليافيرو بخيبة أمل وتناول كوب الماء ، وارتشف منه قليـــلا .

فقال صـــاحبه :

— ساحضر فى وقت آخر ، اننى مشغول جدا ، وانا آسف .

وبدأ صـاحب المنزل يستعد للخروج ، فاخذ تاليافيرو قبعته بدوره وقال :

— انتظـر .. سـأرافقك .

فتوقف الآخـــر وقال :

ــ انني ذاهب .

فقال تاليــــافيرو :

ــ حسنا .. انني استطيع العودة الى هنا على كل حال .

فقال الآخــــر :

ــ أفى هـــذا ما يزعجك ؟.

فقال تاليافيرو :

ــ لا ياعزيزى .. يسرنى أن أعـــود .

فقال الآخــــر :

ــ حسنا اذا كنت تعرف أن هذا لايسبب لك تعبا ، أحضر لى زجاجة لبن من البقال الموجود قـرب الناصية .

وهاك الزجاجة الفارغة .

وامسك تاليافيرو بالزجاجة وراح يراقب صاحبه وهو يهبط من السـلم .

– ٢ –

وهبط تاليافيرو من السلم فشاهد اثنين من الناس يقبل احدهما الآخر ، فاسرع الى الشـــارع .

وكان الطريق خاليا من المارة . وكان الجو باردا فأشعل تاليافيرو لفافة ، وابتلعه الظلام .

وفى الشارع وضع تاليافيرو الزجاجة تحت معطفه ، وتعب من حملها ، وراح يفكر فى تحطيمها ، ولكنه لم يفعل ذلك .

ووقف مترددا لايدرى ماذا يفعـــل .

وكان ميدان « اندرو جاكسون » مضاء بالانوار ، والكاتدرائيـة تطل على المكان ، وكانت الأشجار الباسقة منتشرة فى المنطقة .

ولم يكن الشارع يضم أحدا من الناس غير أن ضجة «الترولى» كانت تسمع من شارع « رويال » .

وأمسك تاليافيرو بالزجاجة ، وشعر انه كأحد المجرمين .

فأسرع الخطى ، ومر بالمخازن وقد جلس أصحابها مع عائلاتهم، وراحت السيدات ترعين الأطفـــال .

ووصل تاليافيرو الى منتصف الطريق .

وكان شارع رويال يتفرع الى طريقين .

فأسرع صاحبنا الى البقال عند الناصية .

فمر بصاحب الحانوت الايطالى وهو يجلس أمام دكانه .

وطلب تاليافيرو زجاجة لبن من البقال واعطاه الزجاجة الفارغة، فناوله الزجاجة من الثلاجة .

فأخذها تاليافيرو واسرع الى الشارع ، ولكنه وقف كالمذهول عندما شاهد السيدة « موريز » وبرفقتها فتاة نحيفة الجسم .

فقــالت الســـيدة موريز :

ـ ياللمفاجأة ! اهذا انت ؟! يامستر تاليافيرو .

فصافحها دون أن يرفع قبعته .

فقالت :

ـ ما كنت اتوقع رؤيتك فى هذه الناصية ! فى تلك الســاعة ! ولكننى أعتقد انك كنت فى زيارة احد أصدقائك الفنانين .

اليس كذلك ؟ ! .

فتوقفت الفتاة وراحت تتطلع الى مستر تاليافيرو دون اكتراث .

ونظرت اليها الســـيدة موريز وقالت :

ـ ان مستر تاليافيرو يعرف جميع كبار الشخصيات فى الحى يا عزيزتى ! . انه يعرف كبار الفنانين . أرجو أن تعذرنى يا مستر تاليافيرو فهذه هى ابنة شقيقى .. الآنسة روبين التى سمعتنى اتحدث عنها .

لقد حضرت هى وشقيقها لتسليتى .

فقال مستر تاليافيرو :

ـ هذا هــراء ، فنحن ـ المعجبين التاعسين ـ بحــاجة الى التسلية .

ربما تشــفق الآنسة روبين علينا ايضــا ؟.

وانحنى تاليافيرو للفتاة بصورة رسمية ، ولكنها لم تبد أي حماس .

فنظرت مورير نحوها وقالت :

ـ ياعزيزتي ، انه مثال الشهامة بين رجالنا في الجنوب .. هل تتصورين رجلا في شيكاغو يقول هذه الكلمات .

فقالت الفتاة :

ـ لا .. لايوجد مثل ذلك .

فقالت العمة مسز مورير :

ـ لهذا السبب كنت أتوق أن تحضر روبين باتريشيا لزيارتي لتجتمع بأشخاص من أمثالك .

ـ أليس هذا رائعا ؟! ..

وانحنى تاليافيرو مرة ثانية وأوشكت الزجاجة أن تقع من يده وقال ..

ـ انها رائعة !.

فقالت مسز مورير .

ـ ولكني مندهشة من وجودك هنا في هذه الساعة ، واعتقد إنك مندهش لرؤيتنا هنا . أليس كذلك ؟.

ولكني عثرت على شيء مدهش جدا ، انظر اليه يامستر تاليافيرو ، أريد رأيك ، وقدمت له مسز مورير لوحة من الرصاص عليها رسم السيدة العذراء ، ووجهها يعبر عن دهشة بريئة . تشبه مايرتسم على وجه السيدة مورير وتحمل طفلها ، واخذ تاليافيرو يطل الى اللوحة فقالت له السيدة مورير :

ـ انظر اليها على ضوء المصباح .

وتساقطت قطرات العرق من وجهه ، فقالت له الفتاة :

ـ دعني آخذ منك ما معك .

وتقدمت مسرعة .. وأخذت الزجاجة وصاحت :

ـ أوه ..

وأوشكت الزجاجة أن تقع من يديها .
فقالت عمتهـــــا :
ـ ماذا ؟ هل كشفت شيئا آخر ؟ لاشك أن ماكشفته افضل مما معى .
آه لو كنت رجلا ، لاستطعت أن أجوب الجوانيت طوال النهار، واكشف اشياء عدة ، أرنا ما معك يا مستر تاليافيرو .
فقالت الفتاة :
ـ انهــــا زجاجة لبن .
وراحت تتفحص وجه تاليـــــافيرو .
فصاحت العمة « موريز » وقالت :
ـ زجاجة لبن ؟ هل أصبحت فنـــانا ؟.
ولأول ولآخر مرة فى حياته تمنى مستر تاليافيرو الموت لاحدى السـيدات .. ولكنه كان انسانا مهـذبا فضحك ضحكة باهتة وقـال :
ـ فنان !؟ انك تبالغين فى اطرائى ياسيدتى ! اخشى أن اقـول اننى لا أصبو الى ذلك .
اننى قانع بأن أكون ....
فقالت الفتاة :
ـ بائع لبـــن ؟.
وتنهدت السيدة موريز بدهشة وقالت :
ـ آه يامستر تاليافيرو ، لقد أصابتنى خيبة الأمل ، لقد كنت آمل أن يقنعك أحد أصدقائك الفنانين بأن تقدم الى العالم شـيئا من الفن .
لا تقل انك لا تستطيع ذلك . فأنا على يقين من أنك تستطيع .. آه لو كنت رجلا لامارس الفن والانتاج الفنى .. ولـكن هل هى زجاجة لبن حقا يا مستر تاليافيرو ؟ .
فقال تاليـــافيرو :
ـ انها لصديقى جوردن ، لقد زرته ظهر اليوم ووجدته مشغولا فاسرعت لاحضر له زجاجة لبن من أجل العشاء .

يالهؤلاء الفنانين ! انك تعرفين حياتهم ! »

فقـــالت :

ـ حقا انه نابغة بمارس عمله بجد ؟ اليس كذلك ؟.

ربما كنت على حق لانك لم تمارس هذه المهنة ، انها طريق طويل موحش ولكن كيف حال مستر جوردن ؟.

انني جد مشغولة بحيث لا اجول فى الحي كثيرا كما ينبغى .

لقد وعدت مستر « جوردن » بزيارته وان ادعوه الى العشاء، انني واثقة انه يعتقد انني نسيته .. اخبره بانني لم انسه بعد ..

فقال تاليـــافيرو :

ـ انني على يقين من انه يدرك مدى انشغالك بالزيارات .

لاتجعلى هذا يزعجك ...

فقالت الفتاة روبين :

ـ لنـــذهب .

وقالت العمـــة مورين :

ـ اين اصدقاؤك الذين سيذهبون فى اليخت ؟ هل ســـلمت الدعوة الى مستر جوردن ؟.

فقال تاليـــافيرو :

ـ انه مشغول جـدا .

فقالت العمة مورين :

ـ آه انك لم تخبره بانني دعوته الى الحفـل .. ياللعار ! اذن يجب ان اخبره انا نفسي بعد ان خذلتني .

فقال تاليـــافيرو :

ـ لا ... لم افعل .

فقالت العمة مورين :

ـ ارجو صفحك يامستر تاليافيرو ، انني لا اعني ان اكـون قاسية .. يسرني انك لم تدعه ؟ فهو خجول ذو اتجاهات فنيـــة. يجب ان نذهب ياعزيزي !.. هل ترافقني ؟.

فقال تاليـــافيرو :

ـ شكرا ، يجب أن آخذ اللبن الى « جوردن » وأنا مرتبط الليلة .

فقالت العمة :

ـ كن حريصا فى كلامك يامستر تاليافيرو .. سنتوجه معك الى منزل مستر جوردن وندعوه لحضور الحفــل .

ـ ٣ ـ

وفى الطريق توقفت عربة السيدة « موربر » ونزل الســائق لاصلاحها . وراح تاليافيرو يفحص زجاجة اللبن ثم يمنى نفســـه بالحصول على عربة فى العام القادم .

وجلست الفتاة فى زاوية السيارة على حين راح تاليـــافيرو يراقبها . وتمنى طول الرحلة .

وصلت السيارة الى المنزل ، وقال تاليافيرو :

ـ سأصـــعد وأدعوه .

فقالت موربر :

ـ لا .. سنصعد جميعا . أريد من روبين باتريشيا أن تشاهد النبوغ فى المنـــزل .

فقالت الفتاة :

ـ لا سأنتظر فى الســـيارة .

فقال تاليـــافيرو :

ـ انه لشىء مثير أن نرى كيف يعيش الفنـــانون .

ثم هبط الجميع وصعدوا الى المنزل .

وقرع تاليافيرو الباب .

فقال جوردن :

ـ هل عدت ياتاليافيرو ؟

وكان الضوء يتلألأ على وجهه .

فقال تاليافيرو :

ـ لقد حضر ضيوف لزيارتك .

وقطعت مسز مورين الصمت قائلة :

ـ كيف حالك يامستر جوردن ؟ ارجو أن تصفح عنا لدخولنا على هذه الصورة المفاجئة !.

وروت مورين لمستر جوردن كيف قابلت مستر تاليافيرو في الشارع .. ثم قالت وهي تقلب نظرها في الغرفة وتشاهد الآثار الفنية الموجودة في الغرفة .

ـ ان أعمالك رائعة .. يا للنبوغ !.. لقد كنت اتوق أن ترى « باتريشيا » استديو حقيقيا حيث يعمل فيه فنان حقيقي .

دعيني اقدم لك ياباتريشيا مثالا حقيقيا ، ونحن ننتظر منه أشياء كبيرة ياعزيزتي !.

فاضطربت الفتاة ، ثم ادارت رأسها دون أن تنظر الى مستر « جوردن » .

ومد المستر جوردن يده ..

وقالت العمة مورين :

ـ كنت اعتزم على زيارة استديو مسترجوردن منذ زمن طويل كما تعلم ، لذا انتهز هذه الفرصة لأقوم بزيارته .. هل تمانع يامستر جوردن ؟.

فقال مستر جوردن :

ـ تفضلي ، ان مستر تاليافيرو يستطيع ان يريك المكان .

ثم تطلع جوردن الى الفتاة وسألها :

ـ كم عمـرك .

فأجابت :

ـ ١٨ عاما اذا كان هـذا يهمك .

ثم قالت له :

ـ ان هذا التمثال يعجبني ، فهو يشبهني تماما ، واتمنى لو حصلت عليه .

فقال :

ـ لا استطيع أن أقدمه اليك »

فقالت :

ـ انني اثق في ذلك »

فقال جوردن :

ـ ولكني لا احتاج اليه بعد غد »

فقالت باتريشيا :

ـ هل استطيع الحصول على تمثال رائع مثله اذا كنت في حاجة الى هذا التمثال ؟»

فقال جوردن :

ـ بكل سهولة يمكنك الحصول على هذا التمثال غدا ، أليس هذا قصدك ؟»

فقالت باتريشيا :

ـ انه من الرخام الأسود »

فقال جوردن :

ـ أسود ؟»

فقالت باتريشيا :

ـ انه أسود ولكني لا اعرف المادة التي صنع منها ؟ انه يوحي بالأرواح .

فقال جوردن :

ـ وكذلك أنا ؟.. اسألي عمتك ، يبدو انها على علم بالأرواح »

فقال باتريشيا :

ـ سلها انت نفسك »

فقالت العمة موريز :

ـ انه لتمثال رائع ، ترى علام يدل يامستر جوردن ؟»

فقالت الفتاة باتريشيا :

ـ لاشيء ياعمتي »

فقال تاليافيرو :

ـ ليس من الضروري أن يدل على شيء ، يجب ان تقبله كما هو »

فقال جوردن :

ـ انه مثـال الأنثى عندى ؟ عذراء بدون أرجلٍ كى لاتتركنى؟ وبدون أيد فلا تمسكنى ، وبدون رأس كى لاتتحدث الى .

فقالت السيدة موريز :

ـ هل تدرى سبب حضورنا فى هذه الساعة المتاخرة ، لقد جئنا لندعوك الى نزهة فى يخت لكى نقضى بضعة ايام قرب البحيرة .

فقاله جوردن :

ـ لقد اخبرنى تاليافيرو بذلك . ولكننى آسف ، اذ لن اتمكن من الحضـور .

فنظرت السيدة موريز نحو تاليافيرو وقالت :

ـ الم تخبرنا بأنك لم تذكر له أنباء الرحلة ؟ .

فقـال تاليافيرو :

ـ لقد كنت أريد منك أن توجهى انت نفسك الدعوة اليه ، ولم أكن اقصد شيئا ، ان الحفل لن يكتمل الا بك يامستر جوردن ؟ واعتقد أن قرارك ليس نهـائيا .

وفجأة قالت السيدة موريز :

ـ لنذهب الى منزلى لنتناول طعام العشاء ، ثم نبحث المسألة فى هدوء .

فقـال تاليافيرو :

ـ اننى مرتبط بعمل مساء اليوم كما اخبرتك من قبلُ .

ثم قال جوردن للفتاة :

ـ هل ستكونين هناك ؟ .

فقالت روبين باتريشـيا :

ـ نعم ! ولكننى سأتوجه الآن الى النوم مباشرة ! .

فقال جوردن :

ـ آسف لن أذهب فلدى عمـل .

ثم تراجع جوردن وذهب لاستبدال ملابسه .

وهنا قالت الفتاة :

ـ أعتقد انه لن يرجع .

وصاحت العمـة :

ـ لن يرجــــع ؟.

فقالت الفتـــاة :

لو كنت مكانه ما رجعت ..

فقال تاليافيرو :

ـ ساذهب لأبحث عنه .

وعاد تاليافيرو بعـــدلحظة وقال !

ـ لقد دعى جوردن الى مكان ما ، وطلب منى أن اعتذر لكم وهـــو يأســـف لرحيـله المفـــاجىء .

ثم نهضت الســـيدة مورير وقدمت يدها مستر تاليافيرو وقالت :

ـ ستزورنى انت .. اليس كذلك ؟.

وداعبته قائلة :

ـ يا دون جوان ..!

فضحك تاليافيرو مسرورا .

وقالت له الفتاة روبين باتريشيا :

ـ طاب مساؤك يا مستر تارفر .

وذهبت العمة مع الفتاة ، وقالت العمة لها فى السيارة !

ـ ان مستر تاليافيرو له مكانة كبيرة .

فقالت الفتاة :

ـ نعم ارى ذلك .

ـ ٤ ـ

ولقد تزوج مستر تاليا فيرو من فتاة حسناء ، وهو الآن فى الثامنة والثلاثين من عمره ، وقد توفيت زوجته منذ ثمانى سنوات .

وكان له عدد من الأخوة شغلوا مناصب عـدة من التدريس فى كلية « كنساس » الى المجلس التشريعى فى الولاية .

ونشأ تاليافيرو نشـــاة غير طبيعية اضـــطرته الطبيعة الى فعل أشياء رغما عنه .

وكان سليم الجسم لم تصبه امراض فى حياته .

ودفعه الزواج الى العمل ، وصادف حياة شاقة تنقل خلالها من عمل الى آخر حتى وصل الى اتباع أساليب ملتوية للحصول على المال قبل أن يعمل فى احدى المحال الكبرى .

وقد شعر انه حقق ما يريد اخيرا ، فقد كان يشعر بالراحة فى التعامل مع الناس حتى أصبح مدير المبيعات بالجملة .

وأصبح يلم بكثير من الأمور التى تهم النساء ، وظل مخلصا لزوجته مع انها لم تكن تغادر المنزل .

وعندما تحسنت الأمور ، وبدأ مركزه يرتفع توفيت زوجته .. وكان قد أصبح متعلقا بها ، الا أنه مع مرور الأيام اعتاد الحرية بعد أن تزوج صغيرا ولم يعرف الحرية مطلقا .

وطاف مستر تاليافيرو فى أوربا مدة واحد واربعين يوما ، وعاد الى «نيو اورليانز» وهو يشعر بانه قد نضج واكتمل .. ولكنه كان يخشى أن يكتشف احد انه ولد باسم « تارفو » وليس تاليافيرو ..

— ٥ —

توجه مستر تاليافيرو الى مطعم مجاور فشاهد صديقه الروائى « دوش فيرتشايلد » وكان معه لفيف من الأصدقاء ، فانضم اليهم ، وكانوا جميعا من معارفه الا المستر هوبر ، وتطلع مستر تاليافيرو الى الجالسين ، فقال أحدهم :

— اتذكرنى يا سيدى ؟.

فقال تاليا فيرو :

— لا أدرى ..

فقال الرجل :

— الم تقابلنى عندما كنت تتناول الغداء ؟.

فأجاب تاليافيرو :

ــ انني لا اتناول سوى كوب من اللبن منذ الظهر ؟ فانا لا اتناول طعام الفطور مبكرا .. ربما كنت تحسبني شخصا آخر .

واحضر الجرسون ما طلبه المستر تاليافيرو ، فراح يلتهم طعامه بدون ارتياح ..

فقال تاليافيرو :

ــ انا عضو في نادى الروتارى .

فقال فير تشايلد :

ــ الم تسمعوا من قبل ان تاليافيرو عضو في نادى الروتارى ؟ انني اذكر ان احد الأشخاص اخبرني بذلك ، ولابد انكم تعرفون كيف تسرى الشائعات ؟ وربما يعزى ذلك الى ان تاليافيرو رجل له مكانته في ميدان الأعمال .. ان مستر تاليافيرو يعمل في احد البيوت التجارية الكبرى وهو ذو مكانة عظيمة في الأعمال التجارية .. اخبرهم يا تاليافيرو باسم الشركة .

فقال تاليافيرو معترضا :

ــ كلا ..

فقال احد الجالسين :

ــ ليس هناك افضل من نادى الروتارى ؟ وقد اخبرنا مستر فير تشايلد بانك عضو في هذا النادى .

ثم انفض المجلس وغادر تاليافيرو المكان وانصرف .

ــ ٦ ــ

قال فيرتشايلد :

ــ ليكن هذا درسا لكم ايها الشباب ؟ فهذا ما سيحدث لكم اذا اعتدتم امورا معينة ؟ فمتى انضم الانسان الى احد الأندية او الجمعيات ؟ فان صلته الروحية تبدأ بالانحلال .

ان الشباب قد ينضم الى اندية كهذه لانها تنادى بمثل عليا . والشباب يصدق هذه المثل في ذلك الحين . ومتى تقدمت السن بالانسان فانه يصبح اكثر تعقلا .

وقال احد الجالسين :

ـ لقد كثرت الجمعيات والنوادى فى الوقت الحاضر بشكل ملحوظ . ثم تطور الحديث الى الكلام عن الدين والعقيدة الا أن تاليافيرو لم يلبث أن آثر عدم الخوض فيه .

وقال تاليافيرو مقاطعا :

ـ لقد شاهدت جوردن اليوم ، وحاولت اقناعه لكى يرافقنا فى رحلة الغد ولـكنه رفض .

فقال فيرتشايلد :

ـ اعتقد انه سيحضر ..

وروى لهم تاليافيرو ماحـدث فى منـزل جوردن .

ثم قال :

ـ يجب أن يذهب معنا جوردن . اعتقد انكم ستساعدوننى فى اقناعه .

فقال فيرتشايلد :

ـ أرى عدم ضرورة تدخلى ..

فقال احد الجالسين :

ـ هل انا مدعو للاشتراك فى الرحلة ؟.

فقال تاليافيرو :

ـ بالطبع نعم فأنت شـاعر .. وتضم الرحلة رساما وروائيا وشـاعرا ..

فقال رجل يرجع الى أصل سامى :

ـ اعتقد ان الرحلة تحتـاج الى جوردن ..

ـ ٧ ـ

وغادر الجميع المكان فذهب فيرتشايلد مع صاحبه «يوليوس» السامى يطوفان الشوارع وفجأة قابلا جوردن هائما على وجهه .

فقال له فيرتشايلد :

ـ هل عدلت عن رأيك ، وقـــررت الذهاب معنـــا في يخت السيدة « موريز » غدا . لقد قابلنا تاليافيرو .

فقال جوردن مقاطعا :

ـ نعم لقد غيرت رايى .»

فقال فيرتشايلد بحماس :

ـ هذا رائع ، انك لن تأسف على ذلك كثيرا . انه سيستمتع بالرحلة من غير شـــك يا يوليوس .. ان الانسان لا يستطيع ان يتجاهل الناس ، ويعيش منعزلا عنهم وخاصة اذا كان لديهم طعام وسـيارات .

ووافق «يوليوس» الرجـل السامى على ذلك وايد فيرتشايلد فى قوله .. ثم قال :

ـ اذن فهل ستحضر معنا يا جوردن ..»

فقال جوردن :

ـ نعم انى قادم .. ألست قادما يا فيرتشايلد ؟»

فقال فيرتشايلد :

ـ ليس الليلة ، سأتصل بمسز موريو تليفونيا ، واجعلها ترسل سيارتها لك غدا ، هلم بنا يا يوليوس ، طاب مساؤك يا جوردن ! »

وتوجه الاثنان نحو الشـــاطىء ، واجتازا شوارع مظلمة ..

فقال السامى يوليوس :

ـ انه شخص لطيف .»

فقال فيرتشايلد :

ـ ينبغى ان يخرج من عـزلته ، فهو لا يستطيع ان يعمل فى الفن طوال الوقت ..»

ثم اجتاز الاثنان مخزن البضائع الى رصيف الميناء حيث كان السكون والمـاء والظلام .

اليوم الأول

الساعة العاشرة

بدأ الجميع يستعدون للرحيل ، والسعادة تغمرهم ، ووقفت عربة السيدة مورين أمام المنزل لتنقل الأمتعة وحاجيات الرحلة .

وكانت السيدة « مورين » ترتدى قبعة البحر ، وهى تشعر بسعادة عارمة .. وعند رصيف الميناء صعد الجميع الى اليخت ، وجلسوا على كراسى أعدها الخادم لهم على ظهر اليخت ..

وكان معهم شاب شاعر ينظم أبياتا فى المناسبات ليذكر الانسان بجدوى الراحة والهدوء .

وجلست السيدة « وايزمان » والآنسة « جيمسسون » الى جانب المستر تاليافيرو وقد اشعلتا لفافتى تبغ .

وقد نزل فيرتشايلد وجوردن ويوليوس السامى وشخص آخر الى قاع اليخت .

وراحت السيدة مورين تسأل :

ـ هل نحن جميعا هنا ؟.

ووقفت الى جانبها ابنة أخيها الجميلة ، وفتاة شقراء بملابس خضراء اللون ...

وقالت الفتاة الأولى عندما شاهدتا شابا على الشاطىء يدخن سيجارا :

ـ ماذا به ؟ لماذا لا يأتى الى هنا ؟ ..

ثم قالت الفتاة الأولى روبين باتريشيا :

ـ ما اسمه ؟ .

فقالت الفتاة الشقراء :

ـ اسمه بيت .

فرفع الشاب قبعته فأشارت الفتاة له وقالت :

ـ ألست قادما معنا ؟.

فأجاب الشاب :

ـ ماذا تقولين ؟ .

فقالت باتريشيا :

ـ هلم الى ظهر اليخت يا بيت ..

فاقبل الفتى .. وهنا علت الدهشة ملامح مسز مورين .. فتحاشاها بادب ..

فسالته مسز مورين :

ـ هل أنت رئيس العمال الجديد ؟.

فقال موافقا :

ـ نعم .. يا سيدتى .

وتطلع اليه بقية الضيوف وهو يتجه نحو الفتاتين ..

وحملقت السيدة «مورين» فى وجه الفتاة الشقراء التى قالت :

ـ لست أنا .. بل هى باتريشيا ..

فقالت باتريشيا :

ـ نعم .. هذا صحيح .

ثم نظرت نحو الفتاة ثم سالتها مسز مورين :

ـ ما اسمك الحقيقى يا جينى ؟.

فقالت الفتاة الشقراء :

ـ اسمى جنفياف ستيتبور .

فقالت باتريشيا :

ـ هذه هى الآنسة ستيتبور ، وهذا هو بيت .

لقد قابلتهما هناك ويريدان الذهاب معنا .

وقالت العمة مسز مورين بعد فترة :

ـ هل نحن جميعا هنا ؟.

ونسيت أمر جينى وبيت وقالت :

ـ أين مستر فيرتشايلد ؟.

وكان اليخت على وشك مغادرة رصيف الميناء فاسرعت تنادى السائق بالوقوف ..

وقالت السيدة وايزمان :

ـ انه هنا لقد حضر مع أرنست .

ونهض مستر تاليافيرو .. فزالت الدهشة من وجه السيدة موزير ..
ثم أقلع اليخت « نويزاكا » .
وجلست باتريشيا تخلع جواربها وقالت :
ـ ها قد حضر جوشن .
فبهتت العمة اذ رأت سيارتها الثانية وقد هبط منها ابن اخيها مسرعا فألقى له بيت حبلا فتعلق به وصعد الى اليخت .

الساعة الحادية عشرة

وجلس الجميع على ظهر اليخت باسترخاء ، وراحوا يتطلع بعضهم الى بعض ، وينتظرون الفطور ألا جينى وبيت فقد وقفا قرب حاجز اليخت .
وشاهدتهما السيدة « موزير » فاعترتها دهشة غريبة واسرعت الى ابنة أخيها قائلة :
ـ ما الذى جعلك تدعين هذين الشخصين الى الرحلة .
فقالت باتريشيا :
ـ الله يعلم .. اذا اردت أن تعيديهما الى الشاطىء فافعلي .
فقالت العمة موزير :
ـ ولكن لماذا طلبت منهما ذلك ؟.
فقالت باتريشيا :
ـ لا أعلم ولكنك قلت انه لايوجد عدد كاف من السيدات .
فقالت العمة .
ـ ولكن متى تعرفت عليهما ؟.
فقالت باتريشيا :
ـ كنت اشترى ملابس البحر عندما قابلت «جينى» هناك فأبدت رغبتها فى الحضور ، وأما الآخر فكان ينتظرها وقال :
ـ انها لن تذهب دونه .
فقالت العمة :
ـ هل تعنين انك لم تعرفيهما من قبل ؟.

فقالت باتريشيا :
ــ لقد طلبت منى جينى ذلك . وكان لابد من حضور الآخر لكى تتمكن هى من مرافقتنا ..

الساعة الواحدة

ووضع طعام الفطور على المائدة ، وطلبت السيدة موريز من ضيوفها ان يجلسوا كيفما شاءوا ..
ثم قالت :
ــ يجب أن تجلس السيدات فى جانب والرجال فى جانب آخر ..
وجلست موريز مع السيدة وايزمان والآنسة جيمسون وجينى .. وكان بيت يقف وراء باتريشيا .
اما تاليافيرو فقد جلس مع ابن شقيق السيدة موريز .
وسالت السيدة موريز عن بقية الضيوف .
فقال بيت :
ــ لقد ذهبوا الى سطح اليخت .
فاعادت السؤال من جديد ..
فأجاب ابن أخيها بقوله :
ــ انتظرى لحظة قبل أن تسالى .
ثم قال لأخته باتريشيا :
ــ من هم ضيوفك ؟.
وعاد الى تناول الفاكهة ..
فقالت عمته : تيودور .. ماذا يفعلون فى قاع اليخت ؟.
وكانت ترتفع اصوات من قاع اليخت .
فقالت تاليافيرو :
ــ هل تسمحين لى باستطلاع جلية الأمر ؟.
فقالت باتريشيا :
ــ ليذهب كبير الخدم ودعونا ناكل .

فقال أخوها تيودور :

ـ سأذهب أنا .

فنادته العمة وقالت :

ـ هل تسمح يا مستر تاليافيرو باستطلاع الأمر ؟

فأسرع المستر تاليافيرو الى قاع اليخت .

وبعد لحظة اقبل الجميع يتقدمهم « فيرتشايلد » .

وقال فيرتشايلد معتذرا :

ـ لقد كنا نساعد الكابتن « ايريس » فى البحث عن اسنانه اذ سقطت من فمه ! .

فقالت العمة :

ـ ساصفح عنكم هذه المرة .

ثم جلس مستر تاليافيرو الى جانب السيدة « مورين » على حين جلس جوردن بين السيدة مورين وابن اخيها .

وابتسمت له السيدة مورين وقالت :

ـ أيها السادة ، ان مستر تاليافيرو سيقرأ عليكم بلاغا خاصا بسرعة اليخت .

فقال تاليافيرو :

ـ أيها السادة .. لقد أوشك أن يفوتكم طعام الفطور فموعده الساعة الثانية عشر والنصف .

ويجب ألا تنسوا هذا الموعد ، فالنظام مطلوب فى السفينة كما تعلمون .

وقالت السيدة مورين :

ـ كونوا رقيقى الطبع وتعالوا .

وتطلعت حولها فوجدت مكانا خاليا فساورها القلق ، وراح الجميع ينظر بعضهم الى بعض .

وقالت الآنسة جيمسون :

ـ انه مكان مارك ؟ أليس كذلك ؟ لقد نسينا مارك !

فأوفدت السيدة مورين أكبر الخدم ليبحثا عنه ، فوجدا الشاعر لازال فوق سطح اليخت .

فقال تاليافيرو :

ـ لقد قلقنا بشأنك يا عزيزى .

فقال الشاعر مارك ببرود :

ـ لقد كنت أتساءل عن موعد الفطور .

ودقت السيدة « مورين » الجرس فاقبل الخادم ، ووزع صحائف الطعام وجاء بغيرها .

وسأل احدهم السيدة وايزمان عمن يكون المستر تاليافيرو ومن صناعته .

فقالت وايزمان :

ـ انه يبيع حاجيات فى جنوب المدينة ، أليس كذلك يا يوليوس ؟ .

فنظر اليها يوليوس :

فقال احدهم :

ـ اننى أسأل عن جنسه وعنصره .

فقالت وايزمان :

ـ هل لاحظت اللكنة التى يتحدث بها ؟ .

فقال الرجل :

ـ نعم اننى أرى انه لا يتكلم كالامريكيين ، وأعتقد انه من أهل البلد .

فقالت :

ـ من أبناء البلد ؟ .

فقال :

ـ أعنى انه من الهنود الحمر .

الساعة الثانية

ووضعت السيدة « مورين » حدا لطعام الفطور ، وراحت تفكر فيما لو استطاعت أن تجعلهم يلعبون « البريدج » .

وقام الخادم باعداد المائدة للعب الورق .

وراح الجميع يتجاذبون أطراف الحديث الذى تناول تاريخ

الولايات المتحدة ، والحرب مع الهنود الحمر ، ثم اختلاف العادات بين الامريكيين والانجليز .

وهنا وقفت السيدة موربر وقالت :

ـ عندما تحين الساعة الرابعة ينبغى أن نكون فى الماء .. فحتى ذلك الحين ، ما رأيكم فى ان نلعب « البريدج » . وليجلس مستر فيرتشايلد والسيدة وايزمان وباتريشيا ويوليوس الى المائدة رقم (١) والميجر ايرس والآنسة جيمسون والمستر تاليافيرو .. ثم استدارت الى « جينى » الشقراء وقالت لها :

ـ هل تلعبين البريدج ؟.

وقال فيرتشـــــايلد :

ـ يايوليوس ، ياميجر ايرس . اليس من المستحسن أن تستلقى قليلا ؟ . الا ترى يا جوردن أن هذا هو الأفضل ؟ .

فقـــال الكابتن ايرس من فـــوره :

ـ أعتقـــد أنك على صـــواب .

وقال فيرتشايلد :

ـ هل أنت قادم يا جوردن ؟.

فنظرت السيدة موربر اليه وقالت :

ـ من المؤكد انك لن تتركنا يا مستر جوردن .

وتطلع جوردن الى باتريشيا التى قابلت نظرته بهدوء وقال :

ـ نعم اننى قادم ولـكننى لن ألعب الورق .

وبقى تاليافيرو وبيت ، على حين انهمك ابن شقيق السيدة موربر يعمل بمنشاره ، وتطلعت «موربر» الى بيت .

ثم القت ببصرها الى بعيد ولم ترغب فى أن تسأله عما اذا كان يلعب « البريدج » .

وتطلعت موربر الى ضيوفها بشىء من اليأس المفعم بالدهشة .

ونظرت باتريشيا الى من بقى من الضيوف وقالت لعمتها :

ـ لقد قلت انه لن يكون هناك عدد كاف من السيدات !

فقالت العمة :

ـ اعتقد انه من الممكن ان تلعب حول مائدة واحدة .
وقف بيت مع جيني فوق سطح اليخت ، وكان النسيم يداعب ثيابها ، وراحت تنظر الى الماء وقد مالت على حاجز اليخت .. فناداها احد البحارة خشية ان تسقط في الماء فابتعدت عن الحاجز ، وشاهد الاثنان شقيق باتريشيا وهو يعمل بمنشاره فتساءلا عما يفعله .
فقال بيت : اعتقد انه ليس في حاجة الى مساعدة احد منا .
ثم قال :
ـ كم ستطول الرحلة ؟.
فقالت جيني :
ـ لا ادري .. انها للمتعة والمرح ؟ وليس لهم هدف معين .. لو كنت غنية لبقيت حيث استطيع انفاق المال بدلا من ان أقطع طريقا لا يرى الانسان فيه شيئا .
فقاطعها احدهم قائلا :
ـ لو كنت غنية لاشتريت ملابس وجواهر وسيارة .
فقالت جيني :
ـ اعتقد انني لن اشترى زورقا .
ووقف شقيق باتريشيا يتطلع الى محركات اليخت ويتساءل عن مدى قوتها ، وراح يتطلع الى الكابتن وهو منهمك في عمله فشعر بالبهجة والسرور والاهتمام .
فقالت اخته باتريشيا :
ـ ماذا هناك ؟.
فقال :
ـ ماذا تفعلين هنا ؟ ومن طلب منك الحضور ؟.
فقالت :
ـ اردت الحضور ، ماذا هناك يا كابتن ؟.
فقال اخوها :
ـ اذهبي الى سطح اليخت فلا عمل لك هنا .
فقالت :
ـ انظر يا كابتن ، ان المحركات تسير بسرعة كبيرة .

فقال الكابتن :

ـ هـذا صحيح يا سيدتى . انها آلة جيدة تكلفت ١٢ الف دولار ..

ثم عادت باتريشيا مع أخيها الذى قال لها :

ـ لماذا تقتفين اثرى ؟..

فقالت باتريشيا :

ـ لم أكن أقتفى اثرك ..

الساعة الرابعة

جلس الجميع حول مائدة «البريدج» وهم يتحدثون ويمرحون وراحت السيدة « موريز » تتطلع نحو الفضاء أحيانا ، والسفينة تشق عباب الماء .

وكان مستر تاليافيرو كلما رفع رأسه رأى أن السيدة موريز تنظر اليه متأملة ، فيعود الى اللعب .

واقبل بقيسة الضيوف وهم فى ملابس الاستحمام وتجاهلوا الذين يلعبون الورق ، ثم هتف فيرتشايلد :

ـ انه يكسب ..!

ورفعت السيدة موريز عينيها فشاهدت الكابتن ايرس يقفز من فوق حاجز اليخت دون أن تصدق هى ذلك فصرخت :

فاقبل الخادم وخلـع معطفه والقى بحزام النجاة ، ثم القى بنفسه .. وسار الكابتن ايرس خلف اليخت وهو يسبح بشدة ؟ ووصل هو والخادم الى قرب اليخت .

واستطاع البحارة أن يسحبوا الكابتن ايرس الى زورق صغير .

وهبط الضيوف الى قاع الزورق ، وارتدوا ملابس الاستحمام ولم يكن لدى جينى رداء للاستحمام فأعطتها باتريشيا رداءها .

ونزلت جينى الى البحر على حين ظل بينت فى الزورق بكامل ملابسه . وارتدى « تاليافيرو» رداء البحر ؟ ونزل الى الماء.. وحاول أن يتجاذب أطراف الحديث مع جينى .

ونزل فيرتشايلد وهو أشبه بفيل البحر ؟ وتبعه الكابتن ايرس الذى راح يرش الجميع بالماء .

وجلس جوردن على حاجز اليخت يشـــاهد الجميع وهم يسبحون ، ونزلت باتريشيا الى المـاء فى النهاية .

وتحدث الـكابتن ايرس عن الغطس حتى حـل التعب به من مطاردة اصحابه وهم يغطسون فى المـاء كلما حاول الاقتراب منهم فنقلوه الى الزورق .

وعاد الجميع الى اليخت ، وعنـدما أرادت باتريشيا الصعود رفعها جوردن بيديه .

الساعة السادسة

وصل اليخت الى مصب احـــد الأنهار ، وكان المـاء اشبه بالبترول الراكد ، فلم يجد الزورق اية مشقـــة فى شق الطريق الى الأمام .

وقف تاليافيرو بجوار جينى وصاحبهـا بيت ، وكانت جينى تبدو فاتنة على ضوء أشعة الشمس وهى تميل الى الغروب .

ثم توجه الزورق الى عرض البحر فى سرعة متوسطة .

الساعة السابعة

اقبل الجميع لتناول طعام العشاء ، وأمسكت السيدة مورين بيد مستر تاليافيرو .. وقالت له فى توسل :

ـ مستر تاليافيرو ..

فوقف مستر تاليافيرو وقال :

ـ اما ونحن كلنا على ظهر اليخت الآن ، فان قبطـان اليخت يريد أن يعرف الميـنـــاء الذى سنرسو فيه . او بمعنى آخر .. أين سنذهب غدا ؟

فقال فيرتشايلد :

ـ الى اى مكان ، لقد اقبلنا من مكان ما أمس .

فقالت السيدة وايزمان :

ـ انت تعنى اليوم ، فقد غادرنا نيو اورليانز صباح اليوم .

وقال تاليافيرو :

ـ سنذهب غدا الى نهر «تشوفونكتا» ونقضى سحابة اليوم فى صيد السمك فهل انتم موافقون جميعا ؟ ام تفضلون الاقتراع؟.
ووافق الجميع على ذلك .
وقال فيرتشايلد :
ـ ربما سنقابل هنـــاك آل جاكسون ، احسن شـــاعر فى نيو اورليانز .
ثم قال تاليافيرو :
ـ اذن انتهينا من هذا الموضوع . ان قبطان السفينة يدعوكم الى حفل رقص بعد العشاء مباشرة .
وقال فيرتشايلد :
ـ ان لدى آل جاكسون بحـيرة لصيــد الأسماك فى خليـج المـكسيك .
فقالت وايزمان :
حيث الرجال كالحيتان .
فنظر اليها الكابتن ايرس نظرة تأمل فقالت وايزمان .
ـ حيث الرجال رجال ، انه المكان الذى جاءت منه تلك الفتاة الجميلة الشـــقراء .
واشارت الى جينى .
فحدق الكابتن ايرس فى وجه جينى وسألها :
ـ هـل كنت تقيمين فى بحـيرة الأسماك عند جاكسون فى خليج المـكسيك ؟.
فقالت جينى :
ـ اننى اقيم فى اسبلانيد .
وقال فيرتشايلد :
ـ اعتقد انك لست الفتــاة المقصودة والا عرفت البحيرة .. ان جاكسون يجمع الأسماك ثم يضع شعاره عليها .
فقال الكابتن ايرس : يضع شعاره عليها ؟!.
فأجاب فيرتشايلد :
ـ انه يضع علامته عليها ليميزها عن الاسماك الأخرى ، وهو الآن يمتلك أسماك العالم ، انه مليونير سمك .

فقال الكابتن :
ـ وماذا يفعل بها ؟.
فقال فيرتشايلد :
ـ انه يقطع ذيلها .
فقال الكابتن :
ـ ان الأسماك الموجودة عندنا مقطوعة الذيل !
فقال فيرتشايلد :
ـ اذن فهي أسماك آل جاكسون .
وصعد الجميع الى سطح اليخت ..

الساعة التاسعة

وراح دوش فيرتشايلد يبحث عن قطعة سلك او قضيب من النحاس ليستخدمه في عمـــل ما . ووصل في بحثه الى غرفة المحركات فوجد قضيبا من الصلب خاليا من الشحم فاعتقد انهم لايستخدمونه أبدا ، ورأى انه يحتاج اليه فترة ، ويستطيع اعادته قبـل الغـد ، فسحب القضيب بسهولة وكان من الصلب المتاز وثمنـــه ١٢ الف دولار ..

وقال يحدث نفسه :
ـ ان القضيب سيظل سليما .

وكان القبطان يغط في نومه ، فأغلق الفرقة ووضع القضيب في جيبه وعاد الى الكابينة التي يشغلها مع مستر تاليافيرو ..

وكان القضيب ساخنا ، وكان صندوق التبغ في جيبه أيضا.

واحضر الاسطوانة الخشبية ووضع لفافة تبغ على حقيبـــة صغيرة ، ورفع القضيب ووجه رأسه الساخن الى نقطة الاسطوانة .

فارتفع خيط من الدخان ، له رائحة تشبه رائحة الجلد .

الساعة العاشرة

جلست السيدة موريو مع السيدة وايزمان والآنسة جيمسون ومارك والمستر تاليافيرو حول مائدة « البريدج » .

ولم تكن السيدة موريو تشعر بميل الى اللعب وقالت :
ـ لست ادري ماذا يريدون ان يفعلوا ؟ .

فقالت وايزمان :
إنها نزهة مليئة بالمرح ..
فقالت باتريشيا :
ــ انها اسوأ من ذلك ، انها اشبه بزورق للماشية ، الكل يسير هنا وهناك ..
وقالت مورين :
ــ لتكن ما تكون ..
وفجأة ظهر خيال شخص لحقت به باتريشيا ، ولم يكن سوى جوردن ..
واصابت السيدة مورين شعور بالفشل كمضيفة اذ لم تتبادل كلمة مع جوردن منذ رحيلهم ..
فقالت لرفاقها :
ــ لنرقص على انغام الموسيقى ..
فقالت السيدة وايزمان :
ــ انني افضل لعب الورق مع مارك على ان ارقص معه .
فقالت مورين :
ــ سيأتي كثيرون عندما تعزف الموسيقى .. الا تحب الرقص يا مستر تاليافيرو .
فقال تاليافيرو :
ــ كما تشائين ياسيدتي العزيزة !.
وذهبت السيدة مورين تبحث عن رفاقها حتى يشاركوها في الرقص ، فعثرت على جوردن وباتريشيا فقالت لهما :
ــ هل تريدان الرقص ؟.
فقالت باتريشيا :
ــ لا . . . لا اريد ..
فقالت العمة مورين :
ــ أعتقد انك لن تمنعي جوردن من الرقص .
فقالت الفتاة باتريشيا :

ـ اننا نتحـــدث عن الادب والفـن »
فقــالت العمـــــة :
ـ اين تيودور ؟ ربمــا ســاعدنا فى ذلك »
فقــالت باتريشـــيا :
ـ انه فى سريره ، يمكنك ان تطلبى منه ذلك »
فذهبت العمة وراحت تحـدث نفسها قائلة :
ـ لقد فعلت الكثير لارضائهم ولكن دون جدوى »
ثم شاهدت شبحين فى الظـلام ، ثم ظهـرت جينى وبيت فتطلعت الســيدة موريز اليهما بارتباك وتذكرت قول الســيدة وايزمان فى زورق النزهة .
فقـــالت مســـز موريز :
ـ اعتقـد انكما تستمتعان بضوء القمـر »
فقالت جينى :
ـ نعم اننا نجلس هنــا »
فقالت موريز :
ـ الا تريدان ان ترقصا ؟ »
فلم تحرك الفتاة ساكنا ، فانصرفت الســـيدة موريز الى مخــــدعها .

الســاعة الحــادية عشرة

طرق مستر تاليافيرو باب مستر فيرتشايلد ثم دخل فوجد الرجل السامى يوليوس والكابتن ايرس على المائدة ـ
فقال فيرتشايلد :
ـ ادخل . كيف هربت منـــا ؟ »
فقال الرجـــل الســـامى :
ـ ان جسم الانسان يستطيع ان يتحمل الكثير ، أليس كذلك ؟ اعتقد ان مستر تاليافيرو رجـــل مقدام لايحتاج الى مساعدة
فقال فيرتشـــايلد :

ــ اين جوردن ؟ أهــو على ظهر اليخت .
فقال تاليــافيرو :
ــ اعتقــد ذلك ، وأعتقد انه مع الآنسة باتريشيا .
فقــال فيرتشــايلد :
ــ آمل الا تعامله بقســوة مثـل ماعاملتنا . اليس كذلك ياكابتــن .
فقــال الرجــل الســامى يوليوس :
ــ تستحق انت ذلك والــكابتن .
وبعــد الشراب قال فيرتشــايلد :
ــ لنصــعد الى الســطح قليــلا .

اليــــوم الثــــانى

هبت عاصفة فى الساعة الثالثة صباحا ، فهاجت مياه البحيرة كما تنبأ القبطان ، وتلاطمت الأمواج ، وراح اليخت يعلو ويهبط ، وراح القبطان يدير دفة اليخت لينجو بها من هذه الأمواج وخرج بها الى عرض البحر .

وكانت دوروثى جيمسون وهى احدى ركاب اليخت فى هذه الرحلة ذات اسلوب جرىء ، وكانت صاحبة مزاج فنى رقيــق وتفضل الصور الفنية ، وكانت طويلة القامة ذات عينين سوداوين ، وقد أمضت عامين فى قرية « جرينتش » لتتعرف على الاتجاهات الامريكية فى الرسم ، وقد تعرفت بأحد الشبان عندما استدان منها نقودا ليسدد دينا لامراة أخرى ، غير انه ما لبث ان هرب الى باريس مع سيدة ثرية .

وكان صاحبها موسيقارا متحررا ، عمــل فى اوركسترا بتسبرج حيث لقى تلك السيدة .

وامضت دوروثى عاما فى الخارج ، ثم عادت الى نيواورليانز ، وقد ضبطها البوليس مرارا وهى تسير مسرعة بسيارتها فحرر لها عدة مخالفات ..

وراحت دوروثى تفكر فى السيدات اللواتى فى اليخت ، ومنهن السيدة وايزمان التى كانت متزوجة من شخص ثم هجرته ، والرجال اليوم يخطبون ودها مثل فيرتشايلد . ولكن قد يكون ميله نحوها يعود الى صداقة لاخيها . غير ان فيرتشايلد لم يكن من هذا الطراز ، اذ انه يميل اليها لأنه مفتون بها .

وهناك باتريشيا التى لاتهتم بصناعة الفن ، وجوردن المنطوى على نفسه الماكر .

وماذا بشأن بيت وجينى ؟ ومستر تاليافيرو ..

ان جينى جميلة فتانة ولكنها كصاحبها والمستر تاليافيرو الذين لا يهتمون بالفن ، ومضت جيني تقول :

ـ ربما أن الفنان الأديب ليس ذلك الطراز من الناس الذى يستهويني .

الساعة السابعة

واشرقت الشمس بنورها الساطع ، وراح الزورق يشق عباب الماء .. ومع مشرق شمس اليوم التالى علت وجه بيت علامة خوف ، فأمسك بصحيفة وراح يطالعها .

وقالت الآنسة جيمسون : انه يوم شديد البرودة ..

فاجاب بيت :

ـ طبعا ، وعندما نهضت فى الصباح ، وشعرت بالبرد وان الزورق يعلو ويهبط لم ادر الى أين نسير . اننى لا اشعر بارتياح اليوم ..

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ كيف حصلت على صحف ، هل رسا الزورق مساء امس في مكان ما ؟

فقـــال بيت :

ـ انها صحيفة قديمة وقد عثرت عليها في اســفل اليخت.

فقـــالت جيمســـون !

ـ لاتلق بهـــا ، استمر في القراءة اذا كان هنـــاك ما يثير اهتمـــامك .

انني آسفة لأنني سببت لك الضـيق .

ربما تشـــعر بالارتياح بعد تناولك الفطور .

فقـــال بيت :

ـ ربما حصل هذا ، ولكنني اشعر بالضيق بما آل اليــه حال اليخت والأمواج المتـــلاطمة .

فقـــالت جيمســـون :

ـ ستتغلب على ذلك . انا متأكدة .

ثم اقتربت لترى الصحيفة فوجدتها صحيفة يوم الأحـــد وفيها مقال عن فن العمـــارة عند الرومان .

فســـألته جيمســـون :

ـ هل تهتم بفن العمـــارة ؟

فقال بيت :

ـ لا .. لقد كنت أقلب الصـحيفة حتى يستيقظ الجميـع وانا لم افكر في ذلك .

فقـــالت جيمســـون :

ـ هذا يعجبني في الرجال امثالك ، انك لخبير في الحياة بحيث لاتخشى ماتفعله بك الأيام .

ترى هل تقضي أوقاتك في التفكير في الحياة ؟

فقال بيت :

ـ ليس كثيرا ، الرجـــل لايريد أن يكون ســـمكة !

فقـــالت جيمســـون :

ـ انك لن تكون سمكة فى يوم ما . ان الجميع يدعونك بيت. فهل تنزعج ؟ اعتقد أن الأمور الجدية هى التى تدخل السعادة الى القلوب .. ان الكثيرين يقبلون الجلوس والحديث عن هذه الامور بدلا من الانطلاق والحصول عليها .. اعطنى سيجارة من فضلك .

وناولها السيجارة ، ووقف امام أحد الأبواب وفجأه خرجت باتريشيا ومعها معطف واق من الأمطار .

فقالت هاللو ! ..

فقال بيت :

ـ هاللو ! هل نهضت جينى ؟

فقالت باتريشيا :

ـ انها ستحضر حالا ...

الساعة الثامنة

وقالت السيدة موريو حول مائدة الفطور :

ـ ان عجلة القيادة معطلة وقد طلب القبطان سفينة لتسحب اليخت .

ـ لقد كان اليخت بالأمس على غير ما يرام .

ـ ويحاول القبطان أن يجد سبب هذا العطل .

فقالت وايزمان :

ـ لقد كنت اريد دائما ان أكون فى سفينة ، ثم تتحطم . ليكن هذا درسا لكم ايها الرفاق .

وقالت باتريشيا :

ـ انهم لا يعرفون شيئا عن المحركات . ومن الممكن ان يقوم دوسون فيرتشايلد باصلاحها ، فهو يعرف الكثير عن محركات السيارات .

ـ اعتقد انك تستطيع ذلك يا دوسون ؟

ويبدو انه لم يصغ الى قولها ، بل مضى يتناول طعامه ، ثم طلب لفافة ، ثم توجه الى غرفته حيث أخرج القضيب فوجد أن احد طرفيه اسود اللون فتوجه الى دورة المياه وأمسك بفرشاة وراح يدعكه فزال السواد ... وتوجـه الى غرفة الآلات بعد أن وضع فرشـة الاسنان بين أمتعة مستر تاليـافيرو ... ثم أعاد القضيب مكانه وغادر الغرفة .

الساعة العاشرة

قال فيرتشايلد مخاطبا تاليافيرو :

ـ ان مايقلقك هو أنك لست جريئـا فى حياتك ؟ولست أعنى إنك من ناحية الكلام لا تثير اهتمام من يصغى اليك فحسب ، بل إنك من ناحية الأفعال لا تثير الاهتمام أيضا .

فقال تاليا فيرو :

ـ ماذا تعنى أن أكون جريئا ؟ وماذا أفعل لأكون كذلك .

فقال فيرتشايلد :

ـ الم تقرأ الصحف وما فيها من انبـاء تضحيات الفتيـات للرجال ؟ .

فقال الرجل السامى :

ـ ولكن لماذا يفعـل تاليـافيرو ذلك ؟ انهن يتجاهلنه وهو لايحتاج الى رضاهن ؟ .

الساعة الثانية

جلست باتريشيا على ظهر اليخت وحدها وراحت تحملق فى مياه البحر ، ولـكنها سئمت ذلك فعـادت تريد غرفتها فوجدت الخادم ينظف أوانى الطعام .

فسألته باتريشيا :

ـ ما اسمك ؟ .

فأجاب الخادم :

ـ دانيلوست واقيم في انديانا وقد عرفت مستر فيرتشايلد منذ يومين وهو الذى قدمنى الى السيدة موريز لأعمل عندهـــا وهذه هى أول رحلة فى اليخت »
فقالت باتريشيا :

ـ كنت اتمنى ان اكون رجلا اطوف البلاد التى اريدها ، واعتقد انه يمكننى العمل فى السفن »
فقال :

ـ لقد تعلمت الطهى فى السفينة فى اثناء زيارتى موانى البحر الأبيض المتوسط .
فقالت باتريشيا :
ـ لابد انك شـــهدت الكثير ! .. ماذا كنت تفعـــل هناك ؟ » لاشك انك لم تكن تجلس فى السفينة .
فقال الرجل :
ـ لا .. كنت اطوف المدن بعيدا عن الشاطىء »
فقالت باتريشيا :

ـ هل زرت باريس ؟ »
فقال :
ـ لا .. ولكن .....
فقالت باتريشيا :
ـ ان الرجال يذهبون الى أوربا لانطلاق الحياة فيها .. أليس كذلك ؟ .
فقـــال :
ـ لست أدرى ....
فقالت باتريشيا :

ـ أعتقد انه لم يكن لديك وقت لذلك ، لابد انك شاهدت الجبال والقلاع والآثار فى البلاد التى زرتها »
ـ أليس كذلك ؟ »
فقـــال :

ـ نعم ! . فقد رأيت جبال الألب والزوارق الصغيرة ، والمناظر الخلابة .

فقالت باتريشيا :

ـ أرجو أن أزور اوربا في الصيف القادم .

وصعد تاليافيرو الى سطح اليخت فوجد جيني مستلقية فوق أحد المقاعد .. جميلة شقراء فوقف يتأملها وقد انسكب عليها ضوء الشمس ، وألقى تاليافيرو نظرة سريعة على السطح ، فلم يجد أحدا ، فاقترب وراح يتأمل حسنها الرائع ، ولكنه وقف كالمذعور اذ خيل اليه أن أحدا يراقبه ، فراح يبحث عن لفافة تبغ فلم يجد فعاد الى غرفته ، ووقف امام المرآة يمعن في النظر في وجهه ليرى الجرأة والاقدام ولكنه لم يجد سوى تعبير عن الخوف .

الساعة التاسعة

طلبت السيدة موريز من فيرتشايلد وصديقه السامي يوليوس الحضور للرقص فأخبرها فيرتشايلد انه سيحضر بعد أن يأتي بجوردن والكابتن أيرس .

ولكنها رفضت قائلة :

ـ اننا سنرسل الخادم ليدعوهما .

فقال فيرتشايلد :

ـ اعتقد انه من الأفضل أن اذهب انا نفسي اذ قد لا يحضر جوردن مع الخادم .

فاضطرت السيدة موريز الى السماح لهما بذلك .

وراح مستر تاليافيرو يرقص مع جيني . والسيدة وايزمان مع الشاعر مارك على حين لم يكن للآنسة جيمسون شريك فراحت تلعب الورق وحدها ..

وقالت السيدة موريز :

ـ يستحسن أن نتبادل الشركاء فى الرقص ».
وجلست باتريشيا دون شريك .
وعندما حضر بيت ذهبت الى سطح اليخت ، فشاهدتها الآنسة جيمسون ..
فقالت :
ـ ماذا تفعلين هنا ؟ . ان السيدة مودير تريد أن تراك ».
فقالت باتريشيا :
ـ لقد هربنا منها .
فقـــالت جيمســـون :
ـ انها تريد بيت فيما اظن ».
ودخلت جينى الى غرفتهـــا وراحت تخلع ملابسها ، وفجأة حضرت باتريشيا ، وسألتها عن لفافة تبغ فأخبرتها بأنها لا تدخن ».
فسألتها باتريشـــيا :
ـ هل تريدين ملابس للنوم ؟ ».
فقالت جينى :
ـ لا أستطيع ان أرتديها ».
وطلبت باتريشيا من جينى أن تطفىء الضوء ، فقامت جينى باطفاء الضوء وكان الجو حارا فشعرت بالضيق الشديد ».
وقالت باتريشيا :
ـ ما هو شعورك اذا كنت فى رحلة وكل من فيها على شاكلة مستر تاليافيرو ؟ ».
فقالت جينى :
ـ أيهم تاليافيرو ؟ ».
فقالت باتريشيا :
ـ الا تذكرينه .. انه ذلك الشخص الضئيل المزعج ».
فقالت جينى :
ـ لقد تذكرته ».
فقالت باتريشيا :

— وماذا من امر بيت ؟ . انه متضايق من امر تاليافيرو »
فصمتت جينى لحظة ثم قالت :
— انه الآن على ما يرام .»
فقالت باتريشيا :
— انك تحبين الألفة ؟ . اليس كذلك ؟ .»
فقالت جينى :
— انني معتادة ذلك .»
فقالت باتريشيا :
— يخير لك ان تفتحى عينيك ، ان المس جيمسون تحاول اختطاف بيت منك .
فقالت جينى :
— ان بيت رجل واع ...»
فقالت باتريشيا :
— هل تعرفين ماذا تريد من بيت ؟ .»
فقالت جينى :
— لا ... ماذا تريد ؟ .»
فقالت باتريشيا :
— هل تعرفينها جيدا ؟ .. هل تعرفين اى نوع من الفتيات هى ؟ .»
فقالت جينى :
— ماذا تريد من بيت ؟ .»
فقالت باتريشيا :
— انها تريد ان ترسم صورة له ...»
فقالت جينى :
— وماذا بعد ذلك ؟ .»
فقالت باتريشيا :
— انها تريد رسم صورة له كى تخطب وده .»
فقالت جينى :

ـ هذه طريقة لا تصلح مع بيت ، فهو غير معتاد اياها .
فقالت باتريشيا :
ـ انني لا ألوم بيت لأني اعرف إنه لا يريد اضاعة الوقت بهذه الطريقة .
فقالت جيني :
ـ قد تكون الفكرة مناسبة لأمثالك ، ولكن بيت لن يدع امرأة توسمه .
وراحت جيني تروي لرفيقتها حوادث من حياتها السابقة ، ثم نامت باتريشيا بجانب جيني .

ولم يعد فيرتشايلد مع رفاقه كما وعد السيدة موربر ، وقد كانت هي تعرف ذلك لذا لم يدهشها عدم عودته .
فعاد ضيوفها الى لعب الورق ..
وقالت تحدث نفسها :
ـ يبدو ان الجميع يمتعون انفسهم ماعدا جوردن ، فهو قاسي حاد المزاج ، لست أدرى ماذا صنع له ؟ .
ونهضت السيدة موربر ، وطلبت من السيدة وايزمان وتاليافيرو وجيمسون السماح لها بالبحث عن جوردن فأذنو لها .

ووجدت السيدة موربر جوردن وقد مال فوق حاجز الزورق ، فوقفت معه وراحت تتطلع مثله الى البحر والى القمر وهو يرسل أشعته فوق سطح الماء .
وقالت له :
ـ ان قلة منا يمعنون فى النظر فى انفسهم . ألا تعتقد ذلك ؟ .
فقال جوردن :
ـ نعم ..
فقالت مسز موربر :
ـ ان العالم مليء بالشقاء وان الفنانين يشعرون بالسعادة عندما يحصلون على الوحى لأعمالهم .
ـ أما بالنسبة الينا .. فمن العسير ان نحصل على مثل هذا الالهام .

ـ آمل يا مستر جوردن أن تجد فى الرحلة ما يعوضك عن بعدك عن عملك .

فقال جوردن فى اقتضاب :

ـ أرجو ذلك ..

ثم رنا الى وجه مسز مورين وأردف قائلا :

ـ هناك شيء فى وجهك يختفى وراء هذا المرح السخيف ..

فصاحت مسز موريز قائلة :

ـ مستر جوردن ..

وأحست بنفسها كما لو كانت ستفقد رشدها .

وخيم الضوء على المكان ، واليخت يشق عباب الماء بسكون .

الساعة الحادية عشرة

قالت السيدة وايزمان :

ـ هل تعلمون انه لو بقى الحال هكذا ليلة أخرى فساطلب من يوليوس أن يتبادل مكانه معى على المائدة مع دوسون والكابتن ايرس ..

وسألها مارك فروست :

ـ الا تنتظرين دوروثى ؟ .

فقالت :

ـ انها تستطيع العناية بأمر نفسها .

وأقبلت السيدة مودير ثم جلست فمالت نحوها السيدة وايزمان وسألتها :

ـ هل أنت متوعكة ؟ .

فقالت السيدة مورين :

ـ انى بخير ، وقد كنت أجلس فى ضوء القمـــر .

فقالت السيدة وايزمان :

ـ لقد كنت أعتقد أن مستر جوردن كان معك !

فقالت موريو :

ـ يا لهؤلاء الفنانين ! »

فقالت السيدة وايزمان :

ـ ويا لجوردن ايضا ؟ ! . لقد اعتقدت انه ذهب مع دوسون قيرتشايلد ويوليوس الرجل السامى .»

فقالت السيدة موريو :

ـ هلمى بنا الى الفراش ! »

وقالت وايزمان لنفسها :

ـ لست أدرى ماذا حدث لها ؟ لابد أن شيئا قد حدث لها .»

الساعة الثانية عشرة

ارتدت باتريشيا ملابس الاستحمام ، ووقفت بباب الغرفة ، حتى شاهدت حركة في الممر .

ووجدت الخادم دافيد وقد ارتدى ملابسه البيضاء ... فقالت له :

ـ اين ملابس الاستحمام ؟ »

فقال :

ـ لا ادرى ؟ »

فقالت :

ـ يمكنك ان تقود الزورق .. هلم بنا .»

واحضر الخادم المجاديف ثم جلس في الزورق وادارة .»

واستلقت باتريشيا في الزورق وهو يسير فوق صفحة الماء اشبه بنغمة موسيقية ، وضوء القمر يخيم على المكان فيزيده جمالا .

ثم نزلت باتريشيا الى الماء وراحت تسبح وراء القارب .»

وقالت :

ـ ان الماء دافىء ..»

فقال دافيد :

ـ يستحسن الا تبتعدى عن الزورق .

واستمرت باتريشيا فى السباحة حتى استطاعت أن تغطس وأن تسبح بمفردها وهو يتطلع اليها ..

اليوم الثالث

الساعة الخامسة

خرجت باتريشيا من الممر المظلم فى رداء أبيض شفاف : وصعدت الى سطح اليخت لتملأ رئتيها بالهواء العليل .. ونزلت الى الماء ، ولم تكن ترى شيئا سوى السماء والماء . واخذت تسبح ببطء وتحاول الا تبتعد عن اليخت . ثم اقتربت من اليخت وأمسكت بالشراع ، وانسلت ودخلت اليخت وقالت لدافيد :

ـ ساعود بعد لحظة ! .

وعادت باتريشيا بعد ثلاث دقائق وقد ارتدت ثوبا ملونا .

واشرق الصباح ، وكان السكون يخيم على اليخت وقالت :

ـ هل نستطيع الوصول الى الشاطىء بدون ان نركب الزورق الكبير ؟ .

فقال دافيد :

ـ يمكن الذهاب الى الشاطىء سباحة .

فقالت باتريشيا :

ـ الا يمكن ان ننزع الزورق عن اليخت ثم نعيده الى مكانه بعد أن نربطه ؟ .

فقال دافيد :

ـ هذا ممكن .

ووصل الاثنان الى الشاطىء وربط دافيد الحبل بوتد فى الارض .

وقالت باتريشيا :

ـ ما اسم هذه البلدة ؟ »
فقال دافيد :
ـ لست أدرى »
فقالت باتريشيا :
ـ آه .. انها بلدة « مانديفل » التى كانت تتحدث عنها جينى
ثم سحب دافيد الحبل ، فاتجه الزورق نحو اليخت .
فقالت باتريشيا :
ـ الوداع يا توزيكا .. الوداع أيها اليخت »
ثم أخرجت بعض النقود التى استطاعت الحصول عليها من أمتعة عمتها ومن السيدة وايزمان والآنسة جيمسون . وأعطته إياها وقالت :
ـ لنتناول طعام الفطور الآن ! »

الساعة السادسة

قالت باتريشيا :
ـ انني جائعة .. أريد ان آكل شيئا »
فقال دافيد :
ـ اتريدين ان اضرم نارا ؟ »
فقالت :
ـ لا .. اننا قريبون من البحيرة ، وقد يرانا أحد ، لنبتعد من الشاطىء .. لنجلس بجوار شجرة ريثما ينقشع الضباب »
وشعرت باتريشيا برجفة تسرى فى أوصالها ، وسمع الاثنان صوتا يتغنى بأنشودة حب .

الساعة السابعة

ابتعد الاثنان عن البحيرة ولكنهما لم يجدا الطريق ؟ ووقفا يأكلان البرتقال .
وقالت له :
ـ لا تنظر الى هكذا »

فقـــال :
ـ وكيف تريدين أن أنظر اليك ؟»
فقـــالت :
ـ انت تعرف . أنظر الى كرجل .»
وانقشع الضباب وسطعت الشـــمس ، وجلست تدخن لفافة تبغ ، وفجاة امسكت بشيء يمشي على ساقها ، وكان حشرة حمراء فقـــال لها :
ـ ما هـــذا ؟ .»
فقـــالت :
ـ اعطني جواربي .. لا تنظر الى هكذا ،
وسمع الاثنان صوت صفارة اليخت .

الساعة التاسعة

وعثرا على الطريق ووجـــدا ان هنـــاك مستنقعا يفصلهما عن الطريق .
فقـــالت :
ـ اين مانديفل ؟.
فقـــال :
ـ من هذا الطريق .»
فقـــالت :
ـ لقد كنت تقول انك لا تعرف مكان المدينة .»
فقـــال :
ـ لقد كنا في غرب هـــذه المدينة عندما وصلنا الى الشاطيء والبحيرة وراءنا الآن ، لذلك فالمدينة من هذا الطريق .
فقـــالت :
ـ كلا انها من هذا الطريق .»
فنظر اليها لحظة ثم قال :
ـ اعتقد انك على صواب .»
ثم سارا الاثنان في الطريق الذى اختارته .

الساعة العاشرة

وقفت جينى مع بيت على سطح اليخت ، وراحت تحدثه فى بعض الامور ..

فقال بيت :

ــ لا تشغلى فكرك بهذه الأشياء .

ووقف الجميع فوق سطح اليخت حيث أشعة الشمس والهواء المنعش .

الساعة الحادية عشرة

سار دافيد مع باتريشيا فى طريق يبدو الا نهاية له ، ولاحظ بقعتين من الدم على جوربها .

وفى اليخت كانت السيدة وايزمان تستبدل ملابسها .

وقالت جينى :

ــ أن المستر تاليافيرو شـــخص مـــزعج ولـكنه لطيف .. الا تعتقدين ذلك يا سيدة وايزمان ؟ .

فقـــالت :

ــ اعتقـــد ذلك .

وقالت جينى :

ــ ان الفتى المنهمك دائما بمنشاره لطيف ايضا .

وراحت تتامل نفسها فى المرآة .

ثم نادتها السيدة وايزمان وقالت :

ــ هلمى بنـــا .

الساعة الثانية عشرة

جلست باتريشيا فى الطريق تتالم وقالت :

ــ انها تؤلمنى .

فمال دافيد نحوها وهتف باسمها مرتين .

فقـــالت :

ــ انظر الى ســـاقى .. وكانت هنـــاك بقع داكنة اللون ،

إن البقع منتشرة فى جســـدى .. لابد أن اغطس فى المـاء .. إننى أموت .

فقال دافيد :

ــ سآتى لك ببعض المـاء ، انتظرى هنا ..

فقـــالت :

ــ هل ستحضر بعض المـاء ؟..

فقـــال :

ــ سأفعل ، انتظرى هنا ..

ثم أخذ قطعة من قميصها غمسها بماء فقالت له :

ــ اريد جرعة ماء يا دافيد ..

فقـــال :

ــ سنحصل على المـاء بعد خروجنا من المستنقع ..

وكان الطريق طويلا لا نهاية له ، والأشجار قائمة على جانبيه ، وقالت له :

ــ خذ هذا القميص واغمسه فى المـاء وضعه على وجهى ..

فقـــال :

ــ أرتدى قميصى ؟..

فقـــالت :

ــ انها ستأكلك بدون القميص ..

فقـــال :

ــ ان الحشرات لا تؤذينى بالطريقة التى فعلتها بك ، ولست فى حاجة الى القميص .

فقـــالت :

ــ كلا احتفظ به ، ولـكنى أريد أن ألبســه تحت ملابسى اذا كنت لا تريده ..

وقالت له بعد أن عاونها فى ارتداء القميص :

ــ سأفعل شيئا من أجلك ذات يوم ، وسأرد لك هذا الصنيع دمنا نخرج من هذا المـكان ..

الساعة الواحدة

قامت السيدة وايزمان والآنسة جيمسون بتخفيف وقع الصدمة على السيدة مورير عندما علمت بهرب باتريشيا ..

وقال فيرتشايلد :

ـ من الممكن أن يحدث اى شيء فى الحياة ، وأما فى القصص فان الشخصيات تخضع لحدود معينة ..

وقالت وايزمان :

ـ هذا صحيح .. ولهذا فان الأدب فن ، وأما علم الأحياء فليس فنا ..

وقال فيرتشايلد :

ـ الفن هو كل ما يصنع بصورة جيدة ومن وعى ، وأنا أؤيد أن يختصر الفن على الرسم .

فقالت السيدة مورير :

ـ ان الفن هو الحياة ، ووجود الروح الجميل ، ألا تعتقد يامستر جوردن ان هذا هو عمل الفن .

انه غذاء الروح ...

وهو لاشباع الرغبات ...

اليس كذلك يا مستر تاليافيرو ؟

وسارت باتريشيا مع دافيد فى الطريق الذى لا نهاية له .. وراحت تتوسل له كى يحضر لها بعض الماء ، وساءت حالها كثيرا وشعرت بآلام مبرحة ..

فقال لها دافيد :

ـ اخلعى حذاءك وسيرى فى المستنقع مثلى حافية القدمين فهذا يساعدك ...

ففعلت ذلك وشعرت بشيء من الارتياح . وبدات الشمس تميل الى المغيب ..

الساعة الثانية

اصلحت جينى من شأنها ثم صعدت الى سطح اليخت ، ووقفت ريثما يلحظ المستر تاليافيرو وجودها هناك .

وعندما اقبلت قالت له :
ـ كنت أرقب تلك الأشياء التى فى المـاء .
ثم تطلعت جينى حولها لترى اذا كان هناك أحد .
ثم قالت :
ـ ان الشمس شديدة الحرارة هنا .
وخرجت باتريشيا ودافيد من المستنقع اخيرا ، ولكن الفتاة لم تستطع السير فقدكانت الحرارة شديدة والحشرات والسحالى تملأ المـكان أمامهما والغبار قد سد الأفق .
فقـــالت :
ـ لا أستطيع السير ، ماذا سنفعل الآن ؟ انني متعبة ، افعل شيئا من اجلى يا دافيد .
وساعدها دافيد لتستريح قليلا ولـكنها ما لبثت أن صاحت :
ـ يجب ان نذهب بسُرعـــة .. ساعدنى .. لا اريد ان اموت هنا ، انني مريضة .
ثم استلقت على الأرض ، وأغمضت عينيها واستسلمت للنوم .

الساعة الثالثة

قال فيرتشايلد يحدث نفسه : لقد اصبحت الحياة فى اليخت تثير الـكآبة .
واحتشد معظم الضيوف فى الزورق الذى اتجه الىالشاطىء وبقى بينت مع السيدة موريز .
سار الزورق نحو الشاطىء ، وراح الرجال يتبادلونالتجديف وعندما اوشك الزورق الوصول الى الشاطىء هاجمتالرجال أسراب من الحشرات الحمراء اللون .
فقـــال تاليـــافيرو :
ـ يستحسن ان نعود من أجل السيدات .
ثم عاد نحو الشاطىء من جديد ، وعادت الضوضاء والحركة .
وأمسك مستر تاليافيرو بالحبل المعلق باليخت وقال انه غير مشدود .
فقــال له فيرتشــــايلد :

ـ اسحب الحبل ».
فقال تاليافيرو :
ـ اسحب أيها الشيطان ».
فهتفت تاليـــافيرو :
ـ ان اليخت يسير ».
وراح الجميع يلوحون بأيديهم للسيــــدة موربر فردت على التحية .. وسار اليخت ببطء نحو الشاطئ حتى اقترب منه ».
وفجأة صرخ مستر تاليافيرو وهوى الى المـاء ، واجتذب معه جيني .. وما لبث مستر تاليافيرو أن خرج من المـاء .
وقام يوليوس بانقاذ جيني على حين راحت السيدة وايزمان تجفف جسد جيني وتجرى لها تنفسـا صناعيـا حتى عادت الى وعيهـا ..
ونظرت جيني الى يدها فوجـدت فوقهـا بقعا حمراء اللون أخذت تكبر كلما نظرت اليها فأخذت تبكي في حرقة وألم .
وقالت باتريشيا بعد أن أفاقت من اغمائها :
ـ عندما تهرب مع فتاة تأكد أن تكون غير ضعيفة .. دعنا نذهب ، ولـكنها لم تستطع السير فقالت :
ـ ماذا سنفعل ؟ ».
فقـال دافيد :
ـ ساحملك على كتفي ! ».
فقالت باتريشيا :
ـ هل تستطيع ..؟ أنت متعب ».
فقـال دافيد :
ـ سأحملك حتى نصل الى مكان ما ».
والقت باتريشيا برأسها فوق كتف دافيد وقالت : أنت لطيف معي يادافيـد .

***

قامت السيـدة وايزمان بتنظيف يد جيني ووضـعت رباطا حولها ، وخلعت جيني مـلابسها ثم ارتدت مـلابس باتريشـيا ، ووقفت أمام المرآة ».

وقالت جيني :

ـ اليس الثوب على ما يرام ؟».

فقالت السيدة وايزمان :

ـ اخلعي هذا الثوب ، سأبحث لك عن ثوب آخر ».

فقالت جيني :

ـ حسنا سأفعل ، اعتقد ان اي ثوب مناسب لجسمي ».

فقالت السيدة وايزمان :

ـ هذا صحيح ، خذي هذا الثوب الأسود ، كيف حال يدك الآن ؟».

فقالت جيني :

ـ انها بخير ».

الساعة الرابعة

سار دافيد وباتريشيا يحملها على كتفه ، وراح يطأ ارض المستنقع والحشرات تلدغه كالسياط فلم يئن ولم يتراجع ، ولم يكن يحس بشيء سوى ذلك الثقل على كتفيه ، وشعر ان فمه مفتوح فاغلقه ».

وقالت باتريشيا :

ـ دعني انزل . هذا يكفي ».

فقال :

ـ كلا .. لست متعبا ».

وكانت دقات قلبه تتوالى بصوت مسموع ، وشعر بأنه بحاجة الى ماء ، ولم يسمع سوى صوت أزيز على مقربة منه .

وكان هدير البحر يصل الى اذنيه .

وكان يتراءى له أن أمامه سرابا كما لو كان يسير في كهف وهدير البحر امام الكهف ».

وراح يحدث نفسه بأنه لم يبق سوى ثلاث خطوات ثم يصل الى البحر أو الى الطريق .

ومضى يعد الخطوات : واحدة . اثنتان . ثلاثة .

وجف حلقه وتدلى لسانه ،وأرسل صوتا اشبه بفحيح الأفاعي

وقالت له باتريشيا :

ـ انزلني على الأرض ، هناك لافتة ، انني استطيع السير ».
وتدلت من فوق كتفيه فوقع على ركبتيه ، ثم استند على يديه ليقف ، فركعت الى جواره وراحت تمسح على رقبته لتخفف من التعب الذى حل به ».
ثم رفعت راسها نحو اللافتة وقرأت : مانديفل ١٤ ميلا ».
ورأت سهما يشير الى الجهة التي اقبلا منها ».
وتطلع فيرتشايلد الى تاليافيرو وقد علاه اليأس وراح يضحك».
فقال السامي يوليوس :
ـ اضحك مثلما تشـاء ، اذا احتج مستر تاليافيرو فسنؤيده فى احتجاجه ، فهو الشخص الوحيد الذى أصيب بضرر حقيقي من ذهابنا الى الشاطىء ».
فقال فيرتشايلد :
ـ هذا صحيح ، وأنا احاول ان أعوض عن هذا الضرر ».
ثم توقف وقال :
ـ اين جوردن ؟ اليس هناك احد يعرف مكانه ؟».
فقال السـامي :
ـ قد قضينا وقتا طويلا ، وقاسينا كثيرا بسبب الفن ».
فقال فيرتشايلد :
ـ ان الفنان يحصل على الكثير من فنه الذى يملأ حياته ».
ثم فتح الباب فوجد الكابتن ايرس وقد جلس يتصفح كتابا فقال له فيرتشايلد :
ـ لقد فاتك ما كنا فيه ».
فقال ايريس :
ـ فاتني هذا ؟».
فسرد عليه ما حدث وكيف ان تاليافيرو سقط فى المـاء ».
واخذ الرجل السامي الكتاب من يد ايرس وقال له :
ـ ما هـذا ؟ ».
وحدق الرجل السامي فيه فقال ايرس :
ـ لقد كنت أسلى نفسى ، برغم انى فقدت هواية القراءة الآن».
فقال السامي :

ـ ان الحرب شر ، ماذا كنت تقرأ ؟ .
فقال الكابتن ايرس وقد رفع الكتاب مرة أخرى :
ـ انني فقدت هواية القراءة ..
وطلب فيرتشايلد بعض الشراب ثم قال :
ـ دعنا من هذا الكتاب .
فقال الرجل السامي ؟
ـ لا شأن لك به .. تناول الشراب .
وراح الجميع يتناقشون حـــول جـــدوى كتاب الجمهورية لافلاطون ، واحتدم النقـــاش دون الوصول الى نتيجة او الاتفاق على رأى .

الساعة الخامسة

اقبل المساء كئيبا وافترش دافيد الأرض قرب احدى الاشجار وظل على تلك الحال فترة من الزمن ، نهض بعدها واخذ يبحث عن باتريشيا فوجدها تقف مستندة الى جذع الشجرة بلا حراك .. والضباب يخيم على المكان ، وهناك نار خفية .
وقالت باتريشيا :
ـ انه لمأزق ، انها غلطتي ، انني آسفة يا دافيد ، ماذا سنفعل ؟ .
وتطلعت اليه وكررت السؤال مرة اخرى .
فقال :
ـ افعلي ما بدا لك .
فقالت :
ـ تعال الى هنا يا دافيد .
فجاء متثاقلا يجر قدميه في الطين ، وتطلعت لحظة اليه دون حراك وامسكت به قائلة :
ـ الا تستطيع ان تفعل شيئا ؟ الا تستطيع ان تغير ماحدث ؟ .
فقال دافيد في صوت متهدج :
ـ ماذا تريدين أن أفعل ؟ افعلي أنت ما بدا لك .
فقالت باتريشيا :
ـ ما أنا الا حمقاء .. على حد تعبير أخي .

فقال دافيد :

ـ لابد لنا من الخروج .

فقالت باتريشيا :

ـ اخبرني ماذا ترى وسافعل ما تقول .

فقال دافيد :

ـ ان الأمر على ما يرام .

فقالت باتريشيا :

ـ ليس الأمر كذلك .

وتناهى الى أسماعهما صوت خافت بعيد فقال دافيد :

ـ انه صوت قارب ، اننا على مقربة من البحيرة .

ـ نعم لقد سمعت الصوت منذ برهة ، وهو يقترب منا .. من الأفضل أن تسترد قميصك .. أدر ظهرك لكي أخلعه .

الساعة السادسة

وقال أحد البحارة الى دافيد وباتريشيا :

ـ انني أعرف أين الزورق الخاص بكما ، انه على بعد ثلاثة أميال في البحيرة ..

ووضع الرجل صفيحة ماء على حاجز شرفة منزله الذي يقع عند نهاية الغابة ، ثم وقف في الشرفة وراح يرقب باتريشيا وهي تصب الماء من الصفيحة على رأسها .

ثم سألها قائلا :

ـ هل كنتما تجولان في المستنقع طوال النهار ؟ . لماذا تريدان العودة الآن ؟ .

واستشاط دافيد غضبا الا أن باتريشيا هدأته وقالت :

ـ لنعد الى الزورق أولا ! كم تريد ؟ .

فقال الرجل .

ـ خمسة دولارات مقدما .

ـ هاك النقود .

وتوجه الاثنان الى زورق الرجل ثم ركبا فسار بهما الزورق .

وقال لها البحار :

ـ من الخير أن ترافقى رجلا آخر فى المرة القادمة .

ـ اسكت ! دعه يسكت يادافيد .

فحدق الرجل فى وجهها وقال :

ـ اسـمعى !.

ـ اصمت . لقد أخذت أجرتك فدعنا نذهب .

فقـال الرجـل :

ـ حسنا .

ثم شتمها بعبارات نابية .

فنهض دافيد من مكانه وهم أن يتشاجر معه غير أن باتريشيا حالت بينه وبين الرجل وهى تصب جام غضبها ولعنتهـا عليه وقـالت :

ـ هلم بنا . اذا تفوه بكلمة ؟ فالق به يادافيد فى الماء .

وسار الزورق بهما حتى خرجا من النهر الى البحيرة وكانت الشمس قد مالت الى الغـروب .

توقف الزورق قرب اليخت فصعدت باتريشيا ومعها دافيد .

ولم يكن هناك احد على سطح اليخت .

وعاد الزورق من حيث اتى .

وقالت باتريشيا :

ـ دافيد اننى آسفة !.

ثم أمسكت به وطبعت قبلة على جبينه ثم تركتـه ونزلت الى أسفل اليخت .

ووجدت الآخرين يتناولون طعام العشاء .

واستقبلها الجميع بدهشة ولكنها تجاهلتهم .

وقالت لها العمة مورين :

ـ أين كنت ياباتريشيا ؟»

ـ كنت أتنزه .»

ـ باتريشيا ؟ ! »

ـ انني مدينة لك بستة دولارات يا آنسة جيمسون »

واعطتها النقود ، ثم اعطت السيدة وايزمان دولارا وقالت لعمتها :

ـ سأعطيك الباقي عندما نصل الى المنزل . ولقد اعدت اليك الخادم فليس هناك ما يدعو الى الانزعاج »

فقالت السيدة مورين :

ـ الم يات المستر جوردن معك ؟»

ـ لم يكن معي أو لماذا كنت آخذه معي طالما معي رجل آخر ؟»

فأربد وجه السيدة مورين وشحب ثم صاحت :

ـ باتريشـــــــيا !»

ـ أف لكم .. انني جائعة !»

الســـاعة التاســـعة

جلست جيني في المساء تتساءل كيف يستطيع الكابتن ايرض ان يرتدي الملابس الكاملة في هذا الجو الحار .»

واقبل الكابتن نحوها وقال :

ـ انك تستمتعين بسكون الماء !»

وكانت هي في ملابس باتريشيا اشبه بفاكهة حان قطفهـــا لشقراء فاتنة .»

وقال الكابتن :

ـ لقد كنت في طريقي الى اسفل اليخت »

وكانت جيني أشبه بزهرة يانعة .

واستدار ايرس كانما سمع اسمه من الخلف ثم استطرد قائلا :

ــ هل أنت من نيواورليانز .

فقالت :

ــ انني من اسبلاناد ، انه شارع في نيو أورليانز .

فقـــال ايرس :

ــ هل تحبين الاقامة هناك ؟.

ــ لست ادري ولكنني أقيم هناك بصفة دائمة .

ــ لقد كنت أنوي الهبوط .

ــ انها ليلة جميلة يطيب فيها السمر .

ــ الســـــــمر ؟.

ــ أين ستذهب انت والرفاق ؟.

ــ ربما الى مانديفل .

ــ لقد كنت هنـــاك .

ــ هل تذهبين الى هنـــاك كثيرا .

ــ أحيـــــــانا .

ــ هل تذهبين مـــع احـــد ؟.

ــ نعم فلا اعتقد أن احدا يذهب الى هناك بمفرده .

ــ نفترض انني ذهبت معك الى هنـــاك غدا ؟.

ــ غـــــــدا ؟.

ــ النيه .. فمـــا قـــوالك ؟.

ـ هل نستطيع ذلك الليلة ؟ وكيف نذهب ؟.

ـ مثل أولئك الذين ذهبوا صباح اليوم ، هناك ترام أو اتوبيس او قطار فى أقرب قرية . أليس كذلك ؟.

ـ لست أدرى لقد عادا فى زورق .

ـ فى زورق ، سنذهب غدا اذن .

ـ حسنا .

ثم تولى عنها ايرس وانصرف فأرسلت زفرة طويلة .

وحملقت جينى فى الماء وراحت تفكر فى الموت واليأس ، فشعرت بخوف ورعب شديدين .

وعندما وقف تاليافيرو الى جانبها عرفته بالفريزة ، وافاقت من تخيلاتها .

وقالت جينى :

ـ لقد اخفتنى .

ثم جرت مسرعة نحو الضوء ودلفت الى غرفتها ، وكانت الغرفة مظلمة حارة فاضاءتها، ولم تجد السيدة وايزمان هناك فخلعت ملابسها ثم اندست فى الفراش .. ولم تطفىء الضوء وظلت مستيقظة دون حراك لاتدرى ماذا تريد.. واقبلت السيدة وايزمان وشاهدت القلق الذى ينتاب جينى فسألتها عما بها ولكن الفتاة نسيت كل شىء ثم فتحت عينيها وقالت :

ـ هل تعتقدين ان مستر جوردن غرق ؟.

فقالت السيدة وايزمان وهى تداعب وجناتها

ـ لست أدرى ، انه انسان غير محظوظ ، وقد يحدث اى شىء لرجل تخلى عنه الحظ ، لاتشغلى بالك بهذا الأمر .

* * *

قال فيرتشايلد :

ـ هل تعتقدون انه ذهب لأن باتريشيا هربت »

فقال مارك :

ـ هل اغرق نفسه بسبب الحب ؟ ان الناس ينتحرون بسبب المال أو المرض لا بسبب الحب »

فقال فيرتشايلد محتجا :

ـ لست أدرى . لقد اعتاد الناس أن يموتوا بسبب الحب ؟ والطبيعة البشرية لاتتغير »

فقال الرجل السامى :

ـ إن مارك على صواب ، فان الناس يموتون بسبب الحب أيضا »

فقال مارك :

ـ ان الذى يعتقد أن حبه قد فشل يمكنه ان يضع كتابا عن هذا الحب للانتقام .. ان الذى يفشل فى الحب لا يقدم على الانتحار وانما يؤلف كتابا »

فقال فيرتشايلد :

ـ لست أدرى ، فالناس يفعلون اى شىء ، وان الطريقة التى ذهبت بها باتريشيا مع دافيد كانت غريبة . ثم عادت دون أى اعتذار ودون أى تفسير كأن شيئا لم يحدث هذا هو ما يعلمه لنا شبان ما بعد الحرب ، ولكنى أعتقد أن الناس امثالنا سينظرون الى الحياة التى ورثوها فيرون الشر فى كل شىء بحيث الرغبة لا تنصاع للواجب.لقد تعلمنا أن الواجب مقدس والا ماكان واجبا، ولكن المرء وهو شاب قد يخطىء كثيرا وبعد ذلك يصل المرء الى مرحلة العمل ثم التفكير ثم يصل الى مرحلة الذكريات »

فقال مارك :

ـ إن الحياة تلقى على كل شىء ظلا »

وبزغ القمر وراح يرسل ضوءه فيبدد الظلام بخيوطه الفضية على صفحة المـــاء .

وقال فيرتشايلد :

ـ قد يكون هنـــاك أناس اشبه بالظلال فى هذا العالم ، يرون الحياة ظلا باليا ولكنى لا اتأثر بهؤلاء الناس ابدا .

وجلس الجميع يتذكرون الشباب والحب والموت والزمن وقد ران عليهم السكون .

الساعة الحادية عشرة

ذهب مارك فروســـت والرجـــل الســـامى الى النوم ، وبقى فيرتشايلد الذى راح ينظر الى صفحة الماء ، ثم تطلع الى الحاجز الخلفى لليخت فوجد شخصا يجلس هنـــاك وحيداً دون حراك .

وكان فى مظهره شيء يثير فضول فيرتشايلد فنهض من مكانه وتوجه الى هنـــاك فوجد دافيد رئيس الخدم يمسك بشيء فى يديه .

وكان حذاء نسائيا علاه الطين .

ثم نهض دافيد وانصرف دون أن ينظر الى فيرتشايلد .

اليوم الرابع

الســـــاعة الســـــابعة

نهض فيرتشايلد من نومه فشاهد قصاصة ورق أسفل الباب فاخذها وقرأ فيها ما يلى :

عزيزى مســـتر فيرتشايلد !

اننى أترك اليخت اليوم ، فقد عثرت على عمل أفضل ، اننى أغادر الزورق قبل انتهاء الرحلة .

اخبر السيدة موريو بذلك ، واطلب منها ان تدفع خمســـة دولارات اخذتها منك .

المخلص دافيد ويست

واعاد فيرتشايلد قراءة القصاصة مرات ثم وضعها فى جيبه وراح يستعيد ذكريات شـــبابه .

قال الجميع للسيدة مورين :

ـ لاتقلقى ابدا ، نستطيع أن ندبر الأمر بدون خادم .

فقالت مسز جيمسون :

ـ انها نزهة وعلى الرجال ان يمدوا يد المساعدة .

ونظرت الى بيت وقامت السيدة وايزمان ،والآنسة جيمسون، وباتريشيا باعداد الطعام .

وعلى مائدة الطعام قال فيرتشايلد :

ـ لقد رأيت مستر جوردن فى الزورق ونحن عائدون الى اليخت .

فقـــال مـــارك :

ـ كلا ، انه لم يكن فى الزورق ، عندما عدنا ، اننى اذكر ذلك تمــامًا .

فقــال يوليوس الســامى :

ـ هذا صحيح ، هل هناك احد يذكرانه شاهده فى الزورق .

فقــال فيرتشــايلد :

ـ لقد كان معنا ، الا تذكر أن مارك كان يضربه بالمجــاديف ؟ اننى اذكر ذلــك .

فقال مــارك :

ـ لقـــد كان فى الــزورق منـــذ البداية .

فقالت السيدة مورين :

ـ لست ادرى ماذا نفعل ؟! انه أمر فظيــع .

فقال فيرتشايلد :

ـ انه سيعود حالا .. انه لم يغــــرق .

فقالت باتريشــيا :

ـ واذا غرق ؟ فسنجده على كل حال ، فالماء ليس عميقا .

الســـــاعة التاســـــعة

وقف بيت وجيني وباتريشيا وأخوهـا قرب حاجز اليخت فراح فيرتشايلد ينظر اليهم ويقـــول :

ـ عجبا لهؤلاء الشباب يتحدثون عن الحياة دون هموم !»

واخذت السيدة وايزمان تتحدث عن التقاليد واختلافها .»

وقال مـارك :

ـ هل تتحدثون عن الحـــرية ؟»

فقـــال وايزمان :

ـ ان المرء لا يحتاج الى حرية ، لا يمكننا ان نتحملها ، ان الحياة واحدة في كل مكان وان اساليب الحياة قد تختلف بين قرية واخرى بسبب ظروف العمــل ، والتأثيرات الأخرى .»

الســـاعة العـــاشرة

وقفت جيني تنظر الى جوشن وهو يمسك منشاره وقالت :

ـ ان الجـــو منـــاسب للسـمر »

فقـــال :

ـ ماذا ؟ ماذا يقلق بيت ؟»

ثم توقف جوشن عن تحريك منشاره على قطعة الخشب .» وراحت جيني تمشي أمامه ، ثم قالت :

ـ أين سأجلس ؟»

فافسح لهـا مكانا ثم قـال :

ـ أين بيت ؟»

ـ إنه هنـاك .

ـ آن لدي عملا ، اذهبي الآن »

فانصرفت جيني بعد لحظة .»

الساعة الحادية عشرة

أخذ الجميع يتحدثون عن الشعر القديم والحديث والفن ؛ وراح بعضهم يلقى أبياتا فى الشعر والغزل والحب فى أثناء المراهقة.
ثم قال فيرتشايلد :
ـ ان ما يعيب الشعر الحديث هو انك لكى تستوعبه يجب أن تكون قد مررت بتجربة عاطفية تشبه تلك التى مر بها الشاعر.

ان شعر الشعراء المحدثين أشبه بزوج من الأحذية لايستطيع أن يلبسه الا من كانت قدماه تماثل اقدام صانع الحذاء .
على حين كان الشعراء القدامى يخرجون قصائد للجميع .

الساعة الثانية عشرة

توجه الجميع الى قاعة الطعام لتناول الغداء ، وكانت النسمات تهب لطيفة من الشاطىء وتقدم بيت الجميع ليبحث عن قبعته التى فقدها .
وقالت السيدة موربر :
ـ آه اجلسوا أيها السادة ، ان الخادم قد هرب ، وان الأمور غير منتظمة ، كما ان مستر جوردن اختفى ولعله غرقا .
فقال فيرتشايلد :
ـ انه على ما يرام وسيظهر فى الوقت المناسب .
فقالت باتريشيا :
ـ لا تكونى حمقاء يا عمتى ؟ . لماذا يغرق جوردن ؟.
فقالت العمة موربر :
ـ اننى تعسة لأن أشياء كهذه تحدث لى كما ترون .
فقالت باتريشيا :
ـ انه بشبع ومغرور فى نفسه ، ولديه من الأسباب مايدعوه الى الغرقا .
فقالت موربر :
ـ ولكن الشخص لا يعرف ماذا يفعله الآخرون من أجله ؟ .

فقالت باتريشيا :

ـ واذا كان قد غـرق فى المـاء فاعتقد انه يريد ذلك وهو لا يتوقع منا ان نجتمع هنا وننتظر قدومه . اننى لم أسمع ان احدا اختفى دون ان يترك مذكرة أو ورقة هل سمعت بغيـــر ذلك يا جينى ؟ .

وكانت جينى تجلس مترقبة ثم تساءلت قائلة :

ـ هل غرق ؟ لقد شاهدته فى مانديفل ذات يوم .

وقالت باتريشيا :

ـ اذا لم يكن مستر جوردن قـد غرق فمن الأفضل ان يظهر بسرعة لأننا يجب أن نعود الى المنزل .

فقالت العمة موريو :

ـ هل يجب أن تعودى الى المنزل ؟ كيف ستعودين ؟ .

وقالت تلك الكلمات فى لهجة تنم عن السخرية .

فقال مارك فروست :

ـ ربما سيصنع لها أخوها زورقا بمنشاره .

فقال فيرتشايلد :

ـ انها لفكرة جميلة ، اليس لديك يا جوشن فكرة لكى نعود ؟ .

فقال جوشن :

ـ لا تفكر فى ذلك مرة اخرى .

فقالت باتريشيا :

ـ يجب ان نعود ، ان فى استطاعتكم أن تظلوا هنا ؟ ولـكن يجب أن أعود مع جوشن الى نيو اورليانز .

فقال مارك فروست الشاعر :

ـ وهل تعودين عن طريق مانديفل ؟ .

فقالت موريو :

ـ ان سفينة السحب ستصل بين حين وآخر .

فقالت باتريشيا للمستر فروست :

ـ انت خفيف الظل ، اليس كذلك ؟ .

فقال مارك :

ـ يجب ان اكون كذلك والا فلا ».
فقالت باتريشيا :
ـ يجب ان نعود ، فسنذهب انا واخي الى نيوهافن في الشهر القـادم .
فقال جوشن :
ـ اهذا صحيح ؟ اسمعى . هل تريدين ان تقتفى اثرى طوال حيـاتك ؟ ».
فقالت باتريشيا :
ـ سأذهب الى ييل ، لقد قال هانك ذلك ».
فقال فيرتشايلد :
ـ هانك .. من هو هذا ؟ ».
فقالت العمة موريو :
ـ ان هذا هو اسم ابيها ».
فقال جوشن :
ـ لن تستطيعى الذهاب ، على اللعنة اذا جعلتك تقتفين اثرى طوال العمر ، انني لا استطيع الحركة بسببك ».
فقالت باتريشيا :
ـ اصمت .. انني ذاهبة ».
فقال فيرتشايلد :
ـ وماذا ستفعلين هناك ، عندما يكون جوشن في الكلية ، هل ستعملين ؟ .
فقالت باتريشيا :
ـ سأجول هناك في الأندية ، انني لن أزعجه ».
فقـال جوشن :
ـ لن تذهبى .
فقالت باصرار وعناد :
ـ انني ذاهبة ، لقد قال هانك ذلك ».
فقـال جوشن :
ـ لن تريني ابدا ، ولن ادعك تلاحقينني ».

فقالت باتريشيا :

ـ وهل ستكون وحدك هناك ؟ انني لست ذاهبة لاضاعة الوقت هناك . سأذهب الى اماكن لن تدخلها الا بعد ثلاث سنوات عندما تتخرج .. لا تقلق بشأني »

فقال جوشن :

ـ اصمتي .. فربما أرادت احدى السيدات ان تبدي رأيا »

الساعة الثانية

اقبلت جرارة السفن وهي تشق عباب الماء من ناحية الجنوب وهي توحي بسحر غريب .

فقال مارك فروست :

ـ انظر الى ذلك الزورق »

فصاحت السيدة مورير وكانت تقف خلفه :

ـ انها جرارة السفن ، لقد وصلت الجرارة اخيرا ، وراح الجميع يهتفون ويهللون .

وقالت السيدة مورير :

ـ لقد وصلت الجرارة ونحن نتناول الغداء ؟ هل اخطرتم القبطان بذلك ؟ يا مستر تاليافيرو »

واندفع تاليافيرو الى الأمام ووقف الجميع على ظهر اليخت وراحوا يحدقون النظر في جرارة السفن .

وصاح تاليافيرو : أيها القبطان ؟ »

ولم يرد عليه احد فقال :

ـ لابد انه نائم .

وقالت مورير : واخيرا سنغادر هذا المكان ، لقد حضرت الجرارة . لقد طلبت استدعاءها منذ أيام ، ولكن اصبح باستطاعتنا الآن أن نسير ، أين القبطان ؟ يجب الا ينام في مثل هذا الوقت ! »

وقال فروست :

ـ ولكن ماذا بشأن جوردن ؟ »

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ دعنا نذهب أولا ...»

وقال تاليافيرو :

ـ لقد استدعيت القبطان ولكن يبدو انه نائم في غرفته »

وقالت السيدة مورين :

ـ لابد انه نائم .. هل يتفضل احد »

فقال تاليافيرو :

ـ سأذهب أنا »

وقال فيرتشايلد :

ـ يجب ان نكون على استعداد تام عندما تبدأ الجرارة بسحب اليخت ...»

فقال مارك فروست :

ـ هذا صحيح .. يجب ان ننزل الى اسفل اليخت ، ونحزم امتعتنا .. أليس كذلك ؟»

فقال فيرتشايلد :

ـ لسنا عائدين الى المنزل ، لقد بدأنا رحلتنا منذ فترة بسيطة أليس كذلك أيها الأصدقاء ؟ !»

وتطلع الجميع نحو السيدة مورين فحولت عينيها ثم قالت :

ـ بالطبع لا .. اذا كنتم لا تريدون العودة ... ولكن القبطان اين هو ؟ يجب أن نكون مستعدين »

فقالت السيدة وايزمان :

ـ حسنا .. فلنستعد ...!

فقال مارك :

ـ لا أحد يعرف شيئا عن ادارة الزوارق الا فيرتشايلد »

وعاد تاليافيرو بدون القبطان »

وقال فيرتشايلد :

ـ انا ؟ ! لقد عبر تاليافيرو المحيط ، وهناك الكابتن ايرس ؟ ان جميع البريطانيين لهم خبرة فى البحر »

وصاح تاليافيرو مرتاعا :

ـ كلا .. ليس هذا صحيحا !

ونظرت السيدة مورير نحو فيرتشايلد قائلة :

ـ هل تتولى زمام الأمور ريثما يحضر القبطان ؟»

وتطلع فيرتشايلد حوله بيأس وقال :

ـ ماذا سافعل ؟، هل اصعد فوق سطح اليخت ومعى كيس من الرمل ... ثم انثر الرمل ؟»

فقالت السيدة وايزمان :

ـ ان شخصا مثلك اظهر تفوقه خلال الأسبوع الماضى يجب أن يعرف كيف يتدبر أمره »

فقال فيرتشايلد :

ـ لقد فكرت الا أصعد فوق سطح اليخت ولكن يبدو ان هذا لن يكون »

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ ينبغى أن تمسك الحبال بهذه الطريقة ، هم يفعلون ذلك فى كل السفن ، لقد قرأت ذلك ».

فقال فيرتشايلد :

ـ حسنا سنمسك الحبال ، أين هى ؟ »

فقالت وايزمان :

ـ هذه هى مشكلتك ... انت القبطان الآن »

فقالت السيدة مورير :

ـ سنبحث عن بعض الحبال ونمسك بها هل تسمحين بذلك ؟»

فقالت وايزمان :

ـ الا يوجد ما تستطيع ان نلوح به كاشارة ؟»

فقال فيرتشايلد :

ـ نعم ! لنمسك الحبال ، ونستعد ، هلموا أيها الرجال !»

وراح فيرتشايلد يمسك بالحبال ثم قال :

ـ انني أتساءل عن مكان القبطان ، من المؤكد أنه لم يغرق . هل تعتقد ذلك .

فقال الرجل السامى :

ـ لا اعتقد ذلك ، انه يتلقى أجرا على عمله . ها قد أقبل زورق من الجرارة .

وربطوا الحبال بشيء ما وكشف الكابتن ايرس انهم ربطوا الحبل بشيء متحرك يسقط من مكانه عند أقل حركة ففكوا الحبل وربطوه بشيء مثبت على ظهر اليخت .

وقال صاحب الزورق :

ـ أين غرق ذلك الشخص ؟ .

فقال فيرتشايلد

ـ لقد فقدناه بين هذا المكان والشاطيء .

فقال صاحب الزورق :

ـ هل ستمنحونني مكافأة ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ـ مكافأة ؟ .

فقالت السيدة مورين :

ـ مكافأة . نعم لقد عرضنا مكافأة .

فقال الرجل :

ـ كم ؟ .

فقال السامى :

ـ عندما تجده أولا ستحصل على مكافأة .

فقال فيرتشايلد :

ـ لقد بدأنا الرحيل فاذهب وابحث عنه وسنحضر في الزورق ونساعدك وتحصل على مكافأة .

وتحرك الزورق وامسك الرجال بالمجاديف واستعدوا للعمل . وتبع الزورق زورق آخر ، وسار الزورقان بقيادة فيرتشايلد

وكانت الشمس شديدة الحرارة ، وراح الزورقان يسيران ببطء شديد وتحرك زورقان آخران ، وبدأت الزوارق الأربعة عملية البحث هنا وهناك وكان الوقت بعد الظهر ، وقد وقف اليخت والجرارة دون حركة في جو مشمس بديع .

وسلكت الزوارق الطريق الذى سلكه ركاب اليخت فى الأمس وهم يبحثون دون جدوى .

وكان الماء راكدا كأنما لا يبالى بما يفعله هؤلاء الناس .

ورفع فيرتشايلد رأسه وتطلع نحو شخص فى زورق بخارى وقال :

ـ هل أنت شبح أم أنا واهم ؟!.

فقد كان جوردن يجثم فى الزورق البخارى القادم .

ومضى يحدق بعضهما الى بعض ، وجاءت بقية الزوارق .

وقال صاحب الزورق :

ـ هل هذا الذى تبحثون عنه ؟ أم تريدون الذهاب الى مكان آخر ؟ .

فضحك فيرتشايلد ضحكة هستيرية .

الساعة الرابعة

عاد الزورق الصغير والزورق البخارى دون أن يحصل صاحب الزورق على مكافأة واطلقت الجرارة صفارة الرحيل .

واتجه اليخت الى الأمام مرة أخرى .

وحدقت السيدة موريى فى وجه جوردن ولوحت بيدها كأنها تريد ذبحه .

وقال فيرتشايلد :

ـ لقد رأيتك بعد عودتنا فى الزورق .

فقال جوردن :

ـ ما كنت تستطيع ذلك ، فقد غادرت الزورق بعد سقوط تاليافيرو .

فقال الرجل السامى يوليوس :

ـ الم اقل لكم ذلك ؟ »

فقال فيرتشايلد :

ـ ولكنى رأيته »

ـ لو قلت ذلك مرة اخرى فسأقتلك »

وقال السامى لجوردن :

ـ هل اعتقدت ان دوسون فيرتشايلد قد غرق ؟»

ـ نعم .. اعتقدت ذلك .

ـ هل هذا الذى جعلك تعود ؟ »

فوقف جوردن صامتا ثم رفع رأسه ونظر الى الجميع شزرا وامسك فيرتشايلد بيد الرجل السامى وقال :

ـ ليست هذه هى المشكلة. ان المسألة هى هل سنشرب الليلة أم لا ؟ »

فقال الرجل السامى :

ـ نعم هذا صحيح ، يجب ان يحتفل جوردن بعودته الى الحياة »

فقال جوردن :

ـ كلا .. لا أريد شيئا »

فاحتج السامى ولكن فيرتشايلد أسكته ؟ وعندما اتجه جوردن نحو الباب نهض وتبعه الى الممر .

وكان ظهر اليخت خاليا ولكنه تمهل ، وسرعان ما اقبلت باتريشيا حافية القدمين »

ومدت اليه يدها قائلة :

ـ لقد نجوت »

فقال جوردن :

ـ وأنت كذلك ؟ »

فقالت باتريشيا :
ـ حسنا وقد عدت »
فقال جوردن :
ـ وانا كذلك »

الساعة الخامسة

فقالت السيدة موريز :
ـ اننا نسير مرة أخرى »
فقالت وايزمان :
ـ ليس هناك من جديد »
فقال تاليافيرو :
ـ كنت اريد ان أقول شيئا »
غير ان السيدة موريز نظرت اليه فسكت »
فقالت وايزمان :
ـ مساكين ، ! لقد اضطروا الى الوقوف طويلا خلال الايام الماضية .
فقال تاليافيرو :
ـ الشباب ! شباب !
وقالت السيدة موريز :
ـ إننا نسير مرة أخرى على أية حال »

الساعة السادسة

وقفت باتريشيا بجوار جوردن فوق سطح اليخت وقال لها :
ـ هل تدرين ماذا قال كيرانو ذات مرة ؟ لقد كان هنالك ملك عنده كل شيء ويمتلك كل شيء من مجد وثروة وعظمة .
وجلس عند المساء في بلاطه حيث خرير الماء وغناء العصافير وراح يتطلع الى قباب المدينة والى العالم »
فقالت : كلا ! ماذا ؟ »

ولكنه نظر اليها بانزعاج ! واضافت !
ـ ماذا قال ؟ هل كان يحبها ؟ .
ـ أعتقد ذلك ، ولا تستطيع أن تتركه أيضاً .
ـ وماذا فعل لها ؟ هل حبسها الناس ؟ .
ـ نعم .. لقد حبسها فى كتاب .

ـ فى كتاب ! أوه ! هـــذا ما فعلته أنت . أليس كذلك ؟ . مع تلك الفتاة المصنوعة من رخام بدون ذراعـين أو سـاقين .. أليس من الأفضل أن تجـد فتاة حقيقيـة بدلا من التمثال . ألم تحب أحداً ؟ .

ـ نعـم .
ـ لقد عرفت ذلك ، يبدو انه لا توجد هناك امرأة تريد اضاعة الوقت مع قطعـة خشب أو ما شابه ذلك . يجب أن تخرج من سجن نفسك . كم عمرك الآن ؟ .
ـ ستة وثلاثون .
ـ ستـة وثلاثون ! وتعيش فى سـجن مع قطعة صخر مثل الـكلب الذى يعيش مع قطعة من العظم .
يا للسماء .. لماذا لا تتخلص من ذلك ؟ .
ولـكنه راح يحدق فيها ..
فقالت : اعطنى هذا التمثال .

فقال جوردن : كلا .
وتطلعت اليه بشىء من الضجر وقالت :
ـ ماذا ستفعل به ؟ هل لديك سبب للاحتفاظ به ؟ ساعطيك عشرين دولاراً و١٧ نقداً .
ولكنه واصل النظر اليها كأنه لم يسمعها ثم قال لها :
ـ لا .
ـ انك تدفعنى الى الجنون . الا تقول شيئاً غير كلمة : لا ؟ .
ثم راح يداعبها ويضع يده على وجهها كما يفعل المثال لـكى يعرف تقاسيم وجه تمثاله .

فانتفضت وقالت :

ـ ماذا تفعل ؟ »

ـ اريد ان اتعرف على وجهك »

ـ هل تريد ان تنحت لي تمثالا ؟ هل تستطيع ؟ »

ـ نعـــم »

ـ هل يمكنني أن أحصل عليـه ، اصنع اثنين منه ؟ واذا لم تفعل ذلك فاعطني هذا التمثال الذي معك . وسأقف أمامك لـكي تصنع هذا التمثال ؟ ما رأيك ؟ »

ـ هـذا ممكن .

ـ افعل اذن ... هل درست وجهي ؟»

ثم نهضت من مكانها وهي تقول :

ـ ادرسه جيـداً »

وراح يتمم لها قصـة الملك فقـال أن الخادم رافق الملك في الشوارع والطرق يحافظ عليه ويخدمه وقال له ذات مرة :

ـ آه يا سـيدي . لقد أحببت فتاة من تلال جورجيا عندما كنت شابا منذ وقت طويل ، ثم توفيت »

فقاطعته قائلة :

ـ الا تعطيني التمثال ؟»

ـ نعـم .

ثم تحولت عنه وعادت فنظرت اليه مرة ثانية وقالت :

ـ سأعطيك خمسة وعشرين دولارا »

ـ كـلا .»

ثم انصرفت وقال يحدث نفسه :

ـ ان اسمك أشبه بالجرس الذهبي الصغير داخل قلبي »

وواصل اليخت سيره ؟ وأرخى الليل سدوله »

توقف جوردن عند مدخل الممر وراح يفكر ، وجلس الجميع حول مائدة الطعام يتناولون العشاء ، وكان هناك أربعة مقاعد خالية لم يصل أصحابها بعد .

ان لديه وقتا ليذهب الى غرفته ثم يعود .

وتطلعت باتريشيا فراته فسألته اذا كان يريد أن يأكل .

فتردد لحظة ثم جلس فى النهاية .

فقال فيرتشايلد فرحا :

ـ يا الهى .

فقالت السيدة وايزمان :

ـ اجلس يا دوسون ، لقد صادفنا الكثير فى هذه الرحلة .

فقال موافقا :

ـ أعتقد ذلك فعلا ، وهذا ما نفكر فيه أنا ويوليوس والكابتن ايرس عند كل وجبة طعام ، وعندما نحضر الى المائدة ، ماذا ترون ؟ .

فقال مارك :

ـ سآكل البرتقال الهندى أولا .

فقال ايرس :

ـ لدينا الكثير من ذلك ، اليس كذلك ؟ .

فقالت السيدة موريو :

ـ بلى .. لدينا الكثير منه .

فقالت وايزمان :

ـ اجلس يا دوسون ، دعهم يجلسوا يا يوليوس .

فجلس فيرتشايلد وقال :

ـ أن الجسم البشرى يمكن أن يواجه كل شىء ؟ فيمكن أن يشرب المرء ثم يرقص طوال الليل! .

وقالت السيدة وايزمان للآنسة جيمسون :

ـ خذى هذا البرتقال ، انهم يريدون البرتقال الهندى » .

وقال فيرتشايلد :

ـ ان الجسم البشرى يتحمل أن آكل برتقالة أخرى » .

استمع يا يوليوس . لقد كنت أنظر الى ظهرى اليوم فوجدت الجلد يتصلب ويجف ويأخذ لونا أصفر . واذا استمر الحال كذلك فلن أجرؤ على خلع ملابسى أمام الناس » .

وقال مارك فروست :

ـ سأخرج من هنا » .

فقالت السيدة وايزمان :

ـ هل انتهيتم من الكلام ؟ لنصعد الى سطح اليخت » .

فقالت السيدة مورير محتجة :

ـ لا يا مستر فيرتشايلد » .

ونهضت السيدة مورير وقالت :

ـ لقد وطأت قدمى شيئا .

فنهض بيت وصاح اذ كانت قبعته تحت قدم السيدة مورير .

وقالت باتريشيا :

ـ ماذا بخصوص آل جاكسون ؟ » .

فقال فيرتشايلد :

ـ ان جاكسون العجوز يدعى أنه من أحفاد هيكورى ، وهى أسرة عريقة من الجنوب تحتفظ بكبرياء الأسر العريقة فى تلك المنطقة . ويحتفظ آل جاكسون بشىء كثير من الكبرياء ، ولذا فهو لا يخلع حذاءه الا اذا كان مع أحد من الناس . وسأروى لكم سبب ذلك :

«كان جاكسون من أصحاب المكتبات أو ماشابه ذلك ويتقاضى أجرا بسيطا لاعالة أسرة كبيرة .

وكان يريد تحسين حاله بأقل جهد وعمل بصفته ينحدر من عائلة جنوبيةعريقة ، ولذا تراءت له فكرة أخذ قطعة منمستنقعات لويزيانا وتربية ماشيـــة فيها ، ولابد أنه شـاهد كثرة الأعشاب والنباتات التى تنمو هناك ، وتخلص من عمله فى المكتبات وابتاع بضعة أفـــدنة من مستنقع نهر تشوفونكتا وأطلق فيها المـاشية مستغلا اموال عم زوجته .

ولـكن المـاشية بدات تفرق نفســها فى المستنقع ، لذلك صنع لها أحزمة نجاة من الاخشاب التى ورثها من عم زوجته من امرة نيسى ، بحيث اذا غطست المـاشية فى مياه المستنقع طفت على وجه المـاء ، فيعيدها التيار مرة أخرى الى اليابسة .

وسارت الأمور على ما يرام الا ان الماشية ظلت تتناقص وتختفى ، ثم وجد ان بعض الناس يستولون على الماشية ، فصنع من الخشب ما يشبه المـاشية ، ثم ابتــدع حيلة أخرى ، وصار يثبت قرونا خشبية فى رأس النعاج والخراف عند ولادتها .

وقد أدى ذلك الى تخفيف خسائره الى حد لا يستحق الذكر .

وبعد فترة من الزمن ، تلفت احزمة النجاة ، ولـكن المـاشية كانت تعلمت كيف تسبح .

لذلك رأى جاكسون انه من المستحسن عدم استخدام أطـواق النجاة ، واصبحت الماشية تحب الماء .

وعندما كان يحين وقت اطعام الماشية كان يضطر هو واولاده الى استخدام الزوارق لاخراج الماشية من المستنقع .

واصبحت القطعان لا تخرج من الماء .

وتعلمت السباحة الى حد جيد ، فاستحال عليه واولاده اخراجها من الماء بسهولة ، فاضطر الى استعارة زورق بخارى .

وعندما امسكوا برأس من الماشية وجدوا ان الصوف لم ينم الا فوق ظهره فقط ، وأما بقية الجسم فكان اشبه بجلد السمك كما ان ذيله ازداد طولا وعرضا كالاسماك وليست له أقدام طويلة .

ولم يتعرفوا على الخراف الصغيرة البتة .

ومرت الأيام ، ولم يروا الجيل الجديد من الماشـــية ، وأكلت الطيور ما أعدوه للماشية ، وعندما اقبل الموسم التالى لم يتمكنوا من الامساك بالماشية حتى بالزورق البخارى ولم يروا راسا منها فى ثلاثة أسابيع .

وكانوا يعرفون أن رءوس الماشية موجودة ، لأنهم كانوا يسمعون أصواتها فى أثناء الليل .

وكلما ازداد تفكير جاكسون العجوز فى ذلك ازداد جنونه .

وكان يقسم انه سيمسك بالماشية حتى لو اضطر لشراء زورقاً يقطع خمسين ميلا فى الساعة وشراء جهاز للغطس لهواولاده .

وكان له ولد يدعى كلود هو شقيق آل جاكسون .

وكان كلود شريرا ومقامرا وسكيرا .

وعقد كلود صفقة مع ابيه بحيث ياخذنصف كل راس من الماشية يمسك به وبدأ العمل .

ولم يكن يستخدم الزوارق أو أجهزة الغطس ، بل كان يخـلع ملابسه ، ويطارد الماشية ويمسك بها .

وتبين لهم أن الجيل الجديد من الخراف ليس له صوف ابدا . واما لحوم الخراف فكانت أفضل لحوم فى لويزيانا .

ومن اجل ذلك تخلى جاكسون عن تجارة الماشية ، وتحول الى التجارة الاسماك على نطاق واسع .

وكان يدرك ان التجارة الأولى لن تدر ربحا كبيرا طالما ان كلود يستطيع الامساك بالماشية .

فعقد ترتيبات مع اسواق نيو اورليانز فانهال عليه الشراء .

فقال الكابتن ايرس :

— يا للسماء !.

أفقال فيرتشايلد :

— ورغب كلود العمل الجديد ، وكانت مغامرة لاقت هوى فى نفسه ، فكرس لها جل وقته وأقلع عن المقامرة والتجوال فى الليل .

ومع مرور الايام استطاع أن يسبق قطيع الماشية فى السباحة والغطس ، وأصبح يظل تحت الماء نصف ساعة أو أكثر .

وكان لا يخرج من الماء حتى للأكل ، فصاروا يحضرون له الطعام وهو فى الماء.

وكانوا لا يرونه مدة أيام ، ولكنه استمر فى صيد الماشية وارسالها الى حظيرة أعدها جاكسون لها .

وكانت فى بعض الأحيان تطفو فوق سطح الماء قطعا من لحوم الماشية فاعتقد العجوز ان اللصوص هم الفعلة .

ومر اسبوع دون ان يشاهد احد كلود ، وحدثت ضجة فى حظيرة الماشية ذات يوم .

وشاهد كلود خلف أحد اللصوص .

ورأى ان اعين كلود قد مالت الى جانبى رأسه ، واتسع فمه وطالت أسنانه ، فعرف الأب سبب خوف اللص .

وكانت آخرة مرة يرى فيها كلود .

وحدث عقب ذلك أن عم الخوف شواطىء السباحة فى الخليج ، وفزعت النساء وخاصة الشقراوات .

وعرفوا ان سبب ذلك هو كلود جاكسون .

وتوقف فيرتشايلد عن الكلام ، وجاءت باتريشيا نحوه ، وربتت على ظهره ، وكانت عيون جينى منصبة عليه دون أى تفكير .

أما الرجل السامى فكان يجلس فوق كرسى اشبه بالنائم .

وقالت باتريشيا :

ــ وماذا بعد ذلك . استمر في قصتك .

فنظر اليها بلطف ووعدها باتمام القصة فيما بعد .

وفتح الرجل السامي عينيه .

وقال الكابتن ايرس :

ــ كم ربحوا من تربية الأسماك .

فقال :

ــ ليس كثيرا فان الامريكيين لا يميلون الى السمك ، هلم بنا لنصعد ونرقص .

((الساعة التاسعة))

جلست جيني وباتريشيا تتجاذبان اطراف الحديث ، وقالت لها باتريشيا :

ــ ان الكابتن ايرس اخبرها بان تذهب الى مانديفل .

فسألتها جيني :

ــ ماذا قال ؟ انه كالأحمق .

ــ ان الرجال غالبا ما يلعنونك . فماذا فعلت لهم ؟.

ــ لم افعل شيئا ، انني اتحدث اليهم فقط .

ــ ان تلك العبارات التي تستخدمينها قد تثير الرجال .

ــ وهل استخدمت انت تلك العبارات مع أحد ؟.

ــ لقد حاولتها مع جوردن .

ــ وماذا قال ؟.

ــ ضربني .

ــ حسنا !.

« الســاعة العاشرة »

راح المستر تاليافيرو يراقص جينى وبيت معباتريشيا على حين أخذ الآخرون يتطلعون اليهم وقال فيرتشايلد :

ـ انظر يا كابتن ، انظر يا يوليوس ، الى باتريشيا وبيت .

ودخل حلبة الرقص وطلب من بيت ان يسمح له بمراقصة باتريشيا لكى تعلمه كيف يرقص فقالت باتريشيا :

ـ حسنا سأعلمك .

وطلبت من بيت الا يذهب وأن يرقص مع جينى قليلا وراح الكابتن ايرس والرجل السامى يرقصان ، وعندما انتهت الاسطوانة ادارت الآنسة جيمسون واحدة اخرى فطلب منها فيرتشايلد ان تضع اسطوانة معينة .

وتقدم الكابتن ايرس وطلب من باتريشيا ان ترقص معه على حين تخلى تاليافيرو عن جينى ورقص مع السيدة وايزمان ورقص الرجل السامى مع السيدة موريو .

واقبل جوردن من مكان ما وجلس فى الظلام يراقب الراقصين فصاح به فيرتشايلد :

ـ هلم يا جوردن !

ثم توجه الى باتريشيا فتركها الكابتن وذهب الى جينى .

فقالت باتريشيا :

ـ لست أعرف انك ترقص .

فقال جوردن :

ـ ولماذا لا .

ــ يبدو انك لا تريد ذلك وقد اخبرت العمة بانك لا ترقص »
ــ أنني لا استطيع .

ــ هل ستعطيني التمثال ؟.
فسكت ولم تستطع ان ترى وجهه بوضوح وقالت :
ــ لماذا لا تريد ان تعطيني اياه ؟.

فلم يحر جوابا . وعندما كفت الموسيقى عن العزف ذهب فيرتشايلد الى أسفل اليخت .

الساعة الحادية عشرة

وسار الجميع على مهل وعادوا الى سطح اليخت وقالت الآنسة جيمسون للمستر بيت :
ــ ماذا تفعل في نيو اورليانز ؟
فقال بيت :
ــ أشياء كثيرة ، فانني أعمل مع أخي .
فقالت الآنسة جيمسون :
ــ أعتقد ان لك عددا أكبر من الاصدقاء . اليس كذلك ؟
لابد ان الفتيات يرغبن في الرقص معك . فانت راقص بارع ؟
انني أحب الرقص .
فقال بيت :
ــ حسنا اعتقد ذلك .

فقالت الآنسة جيمسون :
ــ انني اتساءل اذا كنت استطيع ان أرقص معك ذات مساء ؟
انني لا اتردد على الأندية كثيرا لانه لايوجد بين من اعرفهم من يجيد الرقص ، وانني ارغب في الرقص معك.
فقال بيت :
ــ أعتقد ذلك .

***

دخلت باتريشيا غرفة عمتها دون أن تقرع الباب ، فنهضت السيدة موريز مذعورة ، ووضعت ثوبا على جسمها كما تفعل النساء

عادة ، وبعد أن استعادت رباطة جأشها هرعت الى الباب واغلقتـه فقالت باتريشيا :

ـ أنا يا عمتي .

والتقطت العمة انفاسها ، وراح صدرها يعلو ويهبط ثم قالت :

ـ لماذا لم تقرعي الباب ؟ يجب الا تدخلي غرفة بدون أن تقرعي بابها .

ـ ان بيت يقول انه يجب أن تدفعي له ثمن قبعته فقد تلفت بعد أن وطأتها بقدميك .

ـ ماذا تقولين ؟ .

ـ لقد وطأتها قدماك ، ويعتقد بيت وجيني انه يجب عليك ان تدفعي ثمنها او أن تعرضي ذلك ... واعتقد انك لو عرضت عليه ثمنها فلن يأخذه .

ـ هل تعتقدين انه يجب على ان افعل ذلك ؟ .

ـ نعم انهما يعتقدان ذلك ، انني أذكر لك ذلك لأنني وعدتهما واذا كنت لا تحبذين هذا العمل فلا تفعلي .

فقالت العمة بعد ان استردت انفاسها تماما .

ـ لقد استضفت واطعمت هؤلاء الناس اسبوعا ، واعتقد انني غير مطالبة بتوفير الملابس لهم .

***

قال فيرتشايلد :

ـ ان الجرأة هي الوسيلة الوحيدة لاجتذاب الجنس اللطيف ، اليس كذلك يا كابتن ؟ .

فقال الكابتن :

ـ بلى انها الجرأة ، عاملهن بشدة وعنف .

ـ هذا كلام صحيح ، انك اذا سنحت لك فرصة الحب ولم تغتنم الفرصة فان فتاتك ستتحول عنك لأول رجل يقابلها بدون تردد .

الساعة الثانية عشرة

لم يبق احد فوق سطح اليخت ، وراح فيرتشايلد والكابتن ايرس ينظران حولهما بدهشة ، ثم قررا وضع اسطوانة فى جهاز البيك آب لكى يصحوا الجميع .

وقام الرجل السامى بادارة جهاز البيك آب وجال فيرتشايلد مع الكابتن فوق سطح اليخت .

وسارت السيدة مورين مع القبطان نحو غرفة المستر فيرتشايلد وقالت له :

ـ افتح هذه النافذة .

ودخل ضوء لقمر الغرفة فامتلأت بخيوط فضية اشبه بالرخام .

***

وقف مستر فيرتشايلد على سطح اليخت ، وراح الهواء يداعب شعره ، ويلفح وجهه ، وسطع القمر والنجوم .

وكانت النجوم لا تبالى باليأس الذى ارتسمت اماراته على وجه المستر تاليافيرو أو تهتم باليأس الذى يأكل فؤاده .

فلقد شاهدت الكواكب الكثير من التردد والدهشة الانسانية ، ولذلك فهى لا تهتم بأن يتزوج مستر تاليافيرو مرة أخرى أو يقع فى غرام جديد .

ثم ارتفع صوت اليخت ، فدبت الحركة فى اليخت .

**

وقف فيرتشايلد يقول :

ـ ما هذا ؟

فقال الكابتن ايرس .

ـ عم تسأل ؟

ووقف الاثنان ينظران فقال فيرتشايلد :

ـ لقد سمعت شيئا « ينط » فى الماء ثم تطلع الى الماء وتبعه الكابتن ايرس ولكن الماء كان ساكنا لا يتحرك .

وكان الليل هادئا .

فقال الكابتن ايرش :
ـ اعتقد أن احدا القى قاذورات فى الماء.
ثم انصرف الاثنان .
وسمعا صوتا آخر ، وواصل اليخت سيره .

***

((خاتمـــة))

ـ ١ ـ

اختلف شكل ثوب جينى الاخضر بعد غسله فى مياه البحيرة، فقد أصبح قصيرا من ناحية واصبح طويلا من ناحية أخرى .

ولكن جينى لم تكن ترى ذلك عندما وقفت فى الشارع تنتظر حضور السيارة وراحت تنظر الى قبعة بينت .

وجاءت السيارة وركبت واعطت السائق العنوان والاجـرة فى حين احتشد عدد من الرجال والشبان وراحوا ينظرون اليها بلهفة وشوق .

وجلست جينى الى جانب رجل بدين امسك بصحيفة يطالعها ، فنظر اليها ثم عاد الى صحيفته .

وسارت السيارة بسرعة فائقة، فأثارت فزع الناس فى الشارع، واخيرا وصلت الى محطة فنزلت وسارت بين المنازل حتى وصلت الى بوابة حديدية ، فدخلت منها وسارت فى ممـــر غرست على جانبيه الزهور ، ثم عبرت الى المنزل .

وكان والدها يجلس فى الشرفة يتناول عشاءه ، وما أن رآها حتى قال لها :

ـ اين كنت ؟.

فدخلت جينى المنزل ، وخلعت قبعتها وقالت :

ـ كنت فى زورق .

فارتسم على سمات ابيها شىء من عدم الارتياح والغضب .

فقال أبوها :

ـ هل تعتقدين انك تستطيعين الذهاب على هذه الصورة ، دون أن تخطرى احدا ، ثم تعودين الى المنزل ؟.

ولكنها امسكت به وقبلته ، ولم تسمح له بالكلام .

لم يكن « بيت » وهو طفل يدرك الأمور ولكن اللافتة الكهربية التى تحمل اسم الأسرة تبين ان هذه الأسرة ارتفعت من لا شيء ، ومن مطعم صغير يقدم الطعام للعمال الايطاليين الى اسرة امريكية كونت هي نفسها ثروتها .

وقد كنت فى سنة ١٩١٩ تدخل غرفة صغيرة حيث يقدم اليك الطعام مع جمع من الايطاليين ، وربما جاءت السيدة « جنيسوتا » العجوز نفسها لتقدم لك الحساء ، وتجتذب معك أطراف الحديث ، على حين كان المستر « جنيوتك » يقف الى مائدة يحدث أصدقاءه .

ولو تمهلت قليلا لاستطعت أن ترى « بيت » وهو يرتدى قميصا نظيفا ، وقد انسدلت خصلات شعره على وجهه وعينيه الذهبيتين وعمره ١٢ عاما مثل الأطفال الايطاليين .

ولكن الأمور قد تبدلت الآن ، فقد تحول المطعم الحقير الى « صالة » رقص كبيرة وانتشرت الموائد هنا وهناك .

وبدلا من الطعام الرخيص أصبح الطعام راقيا جيدا ، وأصبح الخدم ينتشرون فى المكان .

وكانت هذه هى فكرة « جو » الذى يبلغ من العمر ٢٥ عاما وهو أمريكى الجنسية ، وكان مستر جينيوتا يخشى هذا التحول بسبب كبر سنه ولانه لم يعد فى امكانه ان يلتقى برفاقه القدامى وسط الضحكات ورائحة الطعام ، فهو لا يعرف الخدم الآن وقد وضعت آلات الموسيقى والطبول هنا وهناك .

وكانت الضحكات النسائية ترتفع من جنبات المكان كما كانت رائحة الأكل والشراب تملأ الجو .

ورحل الأب الى العالم الآخر بعد ان أصبح ثريا وبرز اسمه وفاق اقرانه من الايطاليين .

وأما زوجته فقد اصيبت بفقدان حاسة السمع لديها ، وقد مرضت بعد ان أبتعد الاصدقاء عنها .

وأصبح اولادها امريكيين وامتنعت عن الاتصال بأحد .

وراحت تعد الطعام لابنائهـا الذين كانوا نادرا ما يحضرون لتناول هذا الطعام .

واصبح لدى « جو » عدة سيارات ، وقد حاول اقنـاع أمه بركوب السيارة دون جدوى ، وقد راح يرضى أمه بشتى الوسائل .
ولكن جو كان يقف فى المطعم ويشرف على تنظيمه وهو يشعر بالفخر والكبرياء .

وامسك جو بأوراق النقد بيده وراح ينظر الى بيت وهو يجتاز الغرفة وقال له جو :
ـ أين كنت ؟
فقال بيت :
ـ فى الريف ، هل هناك شىء فى الاكل ؟
فقال جو :
ـ تريد أن تأكل ! . يا للجحيم ! . اننى مضطر لان ادفع أجر يومين لرجل عمل مكانك .. وأنت الآن تريد أن تأكل ! .
ولكن بيت لم يبال بما قاله اخوه جو .
وقال جو :
ـ هل تعتقد انك تستطيع ان تغادر هذا المكان ، وتبقى مـدة طويلة بعيدا كما تريد ؟ هل تفكر انك تستطيع ان تعود بعد اسبوع ؟ هل هذا المكان لك ؟ .

وكانت السيدة العجوز تقف فى المطبخ ولم تتفوه ببنت شفة .
ولكنها كانت تعبر عن خوفها وعدم ارتياحها ، وكانت تنظر الى ولديها دون أن تحاول الكلام .

ودخل بيت الغرفة فوقف شقيقه بالبـاب ، ثم احضرت أمه شيئا من الطعام ولكن أخاه وقف يحدق فى وجهه .

وقال جو :
ـ انهض من هنا كما قلت لك .. تعال الى هنا ، يمكنك ان تأكل عندما تعود .

ولكن الأم تدخلت بينهما دون أن تسمع ما يقولانه ، ثم قال بيت في النهاية :
ــ اسمع .

ولكنه لم يتمم حديثه ، وراح يلتهم الطعام ، وسمع صوت الباب يفتح ، وارتفع صوت سيدة راحت تحدث شقيقه ثم قالت لبيت :
ــ اين كنت ؟ .

فقال :

ــ مع بعض السيدات .
فقالت :

ــ مع أكثر من امرأة .
فقال :

ــ نعم خمس أو ست سيدات ، لقد استغرقت الرحلة طويلا .
فقالت الفتاة :
ــ أوه ! .
ولكنه لم يعرها اهتماما واستمر في تناول الطعام وقالت له :
ــ انظر الى قبعتك ، وامسح فمك .
وانتهى بيت من تناول الطعام ، وكان صوت الفتاة يصل الى مسامعه من الغرفة الأخرى ، فاشعل لفافة وخرج فقال له جو :
ــ هل انت ذاهب ؟ .
فقال :

ــ نعم .
فقــال جو لأخيه :

ــ خذ السيارة ستديوبيكر .

فقال بيت :

ــ كلا ! . سآخذ عربتك الكرايزلر .

فقال جو :

ــ عليك اللعنة ان فعلت ! . خذ السيارة الأخرى كما قلت لك ، اذا كنت لا تريد ذلك فاشتر سيارة لنفسك .

- ٣ -

استلقى فيرتشايلد فترة من الوقت قبل أن يدرك ان الزورق يتحرك . وكانت الساعة الحادية عشرة ولم تكن هناك أصوات ، ولكن ظهر أن في الأفق شيئا ما لا يدري ما هو .

وحاول ان يعرف هذا الشيء غير ان المحاولة زادت من شعوره بالتعب فأقلع عن المحاولات ، واستلقى من جديد .

وكان الرجل السامي يجلس الى جانبه .

وارسل فيرتشايلد زفرة طويلة بعد ذلك ، ثم نهض وسار عبر الكابينة وجرع جرعة ماء وشاهد اليابسة من بعد والأشجار .

وقال لنفسه :

ـ لابد انها مانديفل .

وحاول أن يوقظ الرجل السامي ولكنه مال بوجهه نحو الجدار ، وراح يبحث عن زجاجة ولكنه عثر على زجاجة فارغة فطلب قدحا من القهوة ، ثم توجه الى دورة المياه ، ووضع راسه تحت صنبور الماء ثم عاد وارتدى ملابسه .

وسمع صوت تنفس مسموع في غرفة الكابتن ايرس ، فأغلق فيرتشايلد باب الغرفة وذهب ، وكان الصالون خاليا ، فشعر فيرتشايلد بشيء من الضيق ولم يكن هناك أحد سوى الكابتن ايرس والرجل السامي وكانا نائمين فصعد الى سطح اليخت وراح فيرتشايلد ينظر الى الضوء فشاهد ثلاثة رجال يجلسون على حافة الزورق فبادرهم بالتحية :

ـ طاب صباحكم . ما اسم هذه المدينة ؟ مانديفل ؟

فقال الثلاثة :

ـ مانديفل ! مانديفل ؟ ماذا ؟

فقال لهم :

ـ ما اسم هذه المدينة اذن ؟

فجلس الرجال الثلاثة وراحوا ينظرون اليه ثم قال احدهم :

ـ يبدو كما لو أن رفاقك قد تركوك وذهبوا .

فقال فيرتشايلد :

ـ يبدو أن هذا قد حدث ، هل قالوا انهم سيرسلون عربة لنا ؟

فقال الرجل :

ـ لا ... لن يرسلوا سيارة اليوم .

ففرك فيرتشايلد عينيه ، وادرك أن محدثه هو القبطان الذى ما لبث أن قال :

ـ إن الترولى هناك .

ـ ٤ ـ

وكان الوعد مع الكابتن أيرس فى الساعة الثالثة ، فهبط من المصعد فى ذلك الوقت وسار فى ممر طويل وسمع صوت آلة كاتبة .

ثم وصل الى الباب الذى يريده ودخل واعطى فتاة بطاقته وراح يتفرس فى وجهها ، ثم جلس فى الاستراحة ينظر عبر النافذة الى النهر .

وعادت الفتاة ، وقالت :

ـ أن مستر ريتشمان سيقابلك حالا .

وفتحت للكابتن ايرس الباب .

وصافحه مستر ريتشمان وقدم له مقعدا وسيجارا ، وراح يسأله عن انطباعاته فى نيو أورليانز قتلا للوقت بالحديث .

ـ ٥ ـ

جلس فيرتشايلد وامسك بيده سيجارا ووقف فى الشرفة ، وراح ينظر الى الظلام ، والكاتدرائية المجاورة .

وكان الترولى يجتاز شارع رويال ، وكان هذا قلما يحدث ، وعندما اختفى الترولى لم يسمع صوت الآلة الكاتبة .

ثم رأى مستر تاليافيرو عند منعطف الممر وقد ارتسمت على وجهه امارات الخوف ، فدخل الغرفة مسرعا وتظاهر بالنوم .

وسار تاليافيرو يلوح بعصاه وأخذ فيرتشايلد يفكر ويحدث نفسه قائلا :

ـ انها الفرصة ، هي أهم من كل شيء ! . وان عدم المبالاة من الوسائل الهامة في اجتذاب قلوب الجنس اللطيف .

وصعد تاليافيرو سلما مظلما وسمعه فيرتشايلد يتعثر في الظلام ، ثم جاء تاليافيرو وهتف باسمه ...

فقال فيرتشايلد بارتياح :

ـ لقد كنت على وشك الانصراف لأني ضللت الطريق غير أن رجلا سمح لي بأن أعبر المكان الى هنا .

ـ هل كنت نائما ؟. آسف لازعاجك ؟. ولكني اريد نصيحتك لأنني لم ارك منذ صباح اليوم .

ووضع تاليافيرو قبعته وعصاه على المنضدة وراح يحدق في وجه صاحبه وقد ارتسمت على وجهه امارات الذعر .

فقال فيرتشايلد :

ـ ماذا بك ؟ .

فقال تاليافيرو :

ـ أنا ؟ .. لا شيء ! . لا شيء أبدا ، يا عزيزي ، لماذا تسأل ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ـ يبدو انك تريد أن تقول شيئا .

وضحك تاليافيرو ضحكة مضطنعة وقال :

ـ انك تتخيل اشياء ، واني أطلب منك النصيحة ، اتذكر حديثنا على اليخت ؟ .

وراح فيرتشايلد يحدق في وجه صاحبه ثم قال :

ـ حسنا !. انني لا اذكر شيئا من حديثنا .

فقال تاليافيرو متفائلا :

ـ آه ... انني اعتقد انني كشفت سر النجاح مع الجنس اللطيف ، مهد السبيل قبل الالتقاء بهن ، اظهر عدم المبالاة بهن ، كن جريئا ، سأستخدم هذه الحيلة الليلة ، ولكني أريد نصيحتك .

فمال فيرتشايلد الى الوراء قليلا وقال تاليافيرو :
ـ سأجعل صديقتى تشعر بالغيرة بأن أتحدث عن امرأة أخرى بعبارات رقيقة ، انها من غير شك تريد أن ترقص ولكنى سأتظاهر بعدم المبالاة .
فقال فيرتشايلد :
ـ حسنا .
فقال تاليافيرو :
ـ سنذهب ونرقص وأوهمها بأنى أفكر فى امرأة اخرى ، ومن الطبيعى انها ستسألنى فى ماذا أفكر .. فسأقول : لماذا تريدين أن تعرفى ؟ .
ولكنها سترجونى من جديد واقول لها سأخبرك بما تفكرين فيه ، فترد على ماذا ؟ ! . فأقول لها : انك تهتمين بى ، فما رأيك فى هذا كله وماذا ستقول لى ..
فقال فيرتشايلد :
ـ ربما تقول لك ان رأسك مضطرب .
فتدلى وجه تاليافيرو وقال :
ـ هل تعتقد انها ستقول ذلك ؟ .
فقال :
ـ سترى هذا انت نفسك ! .
فقال تاليافيرو :
ـ كلا . لا اعتقد ذلك ، اننى أتخيل انها ستعتقد اننى أعرف نساء كثيرات .. هل تعتقد ان الخطة ستنجح ؟ .
فقال فيرتشايلد :
ـ بالتأكيد على شرط ان توفق فى تنفيذ الخطة وان تستجيب هى والا تصفعك .
فقال تاليافيرو :
ـ انك تجتذبنى ، الا تعتقد ان الخطة ستنجح ، انها الوسيلة الوحيدة لكسب المعارك ، وقد علمنا نابليون ذلك .
فقال فيرتشايلد :

ــ ان نابليون قال الكثير عن المدفعية الثقيلة ، أرى انك فكرت في كل شيء .

فابتسم تاليافيرو بارتياح وقال :

ــ هذا صحيح .

فقال فيرتشايلد :

ــ هل ستحاول استخدام هذه الخطة الليلة أم انك تضعها فقط ؟ .

فأخرج تاليافيرو ساعته ونظر اليها وهتف قائلا :

ــ يا للسماء ! . يجب أن أذهب .

ثم نهض مسرعا وقال :

ــ شكرا لنصيحتك واعتقد انني توصلت الى الحل ، أليس كذلك ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ــ هذا صحيح .

وتصافح الاثنان وقال له تاليافيرو :

ــ تمن لي حظا سعيدا ، انك لن تذكر حديثنا لأحد .

فقال فيرتشايلد :

ــ بالتأكيد ، بالتأكيد .

وأغلق تاليافيرو الباب ونزل ، ولكنه تعثر مرة اخرى ، ثم وصل الى الشارع ، ونهض فيرتشايلد ووقف على الشرفة وراح يراقبه .

ثم استلقى مرة أخرى ونهض .

فقال له الرجل السامي :

ــ الى أين أنت ذاهب ؟ .

فقال فيرتشايلد :

ــ لست أدري ! . الى مكان ما .

ــ ٦ ــ

تثاءبت باتريشيا عدة مرات وادركت أن شقيقها على وشك مغادرة المائدة ، فنهضت ايضا وقالت للمستر مارك :

ـ حسنا لقد سررت لأنني تعرفت بك !. وربما نعود الى هنا في الصيف القادم وستقوم برحلة مرة أخرى اليس كذلك ؟.
فقالت العمة :
ـ اجلسى يا تريشيا ...
فقالت باتريشيا :
ـ انى آسفة يا عمتى ، ولكن جوشن يريد أن ارافقه الليلة فهو ذاهب غدا .
فقال مارك :
ـ ألست ذاهبة غدا ايضا ؟.
فقالت باتريشيا :
ـ نعم .. فهذه هى آخر ليلة نقضيها هنا ؟ . وجوشن يريد أن ...
فقال جوشن :
ـ لست أنا ـ يمكنك الا تذهبى معى ؟.
فقالت باتريشيا :
ـ حسنا ! . اعتقد انه من الأفضل ذلك ؟ على أية حال ...
فقالت العمة :
ـ باتريشيا !.
ولكن الفتاة تجاهلت كلام عمتها ونهضت وصافحت المستر مارك بشدة قبل أن ينهض واقفا وقالت :
ـ الى اللقاء !. حتى الصيف القادم !.
وقالت العمة :
ـ باتريشيا .
وقالت الفتاة :
ـ طاب مساؤك يا عمتى ؟.
وذهب جوشن الى السلم ، فأسرعت خلفه ؟ وتركت عمتها تناديها ، من غرفة الطعام ؟ ووصلت الى السلم فى الوقت المناسب لتجد باب غرفته يغلق خلفه .
وعندما حاولت أن تفتح الباب ؟ وجدته موصدا ، فعادت الى

غرفتها . وخلعت ملابسها في الظلام ، واستلقت على فراشها ، وسمعت صوته بعد لحظات وهو في غرفة الحمام .

وعندما انقطعت تلك الأصوات ، نهضت باتريشـــيا ودخلت الحمام بهدوء ، واضاءت المصباح ، وفتحت صنبور الماء ، فامتــلأ الحوض ، ثم أخذت في الاستحمام .

وبعد أن فرغت من الاستحمام عادت الى غرفتهـــا وارتدت ملابس النوم ، ثم ذهبت حافية القدمين ووقفت عند باب غرفـــة شقيقها لتسمع الى ما يجرى في داخلها .

وقالت بعد أن عرفت أن الباب غير موصد :

ــ اسمع يا جوشن

وفتحت الباب وقالت :

ــ انني قادمة . فلن تسمح لي بذلك .

وكانت الغرفة تسبح في ظلام دامس ، فلم تميز شكل أخيهـا على الفراش ، ثم جلست قربه ، فقال لها :

ــ ماذا تريدين . ولماذا حضرت الى هنا ؟! أخرجي من هنا !. أريد أن انام .

فقالت :

ــ دعني امكث قليلا ، فلن ازعجك ...

فقال :

ــ أريد النوم ! . اخرجي الآن .

فقالت متوسلة :

ــ لحظة بسيطة . سأجلس ساكنة .

فقال :

ــ انك لن تجلسي صامتة .. اخرجي الآن ...

فقالت :

ــ أقسم انني ساظل صامتة ..

فقال :

ــ حسنا ..

فقالت :

ــ انني مسرورة لأن اسافر معك ، انني احب السفر في القطار وسنرى الجبال ، يا لها من جميلة ! .

فقال اخوها :
ـ لا توجد جبال بين هنا وشيكاغو ، اصمتي .
فقالت :
ـ توجد جبال ، لقد شاهدتها .
فقال :
ـ لقد كان ذلك في فرجينيا وتنيسي ، اننا لن نذهب من فرجينيا الى شيكاغو .
فقالت :
ـ لقد ذهبنا من تنيسي .
فقال :
ـ اصمتي ، اذهبي من هنا الى غرفتك .
فقالت :
ـ لا .. ارجوك .. سأصمت ، لا تكن منزعجا .
فقال وقد ضاق صدره :
ـ اخرجي الآن .
فقالت :
ـ لن أتكلم ..
فقال :
ـ اخرجي حالا ..
فقالت :
ـ لحظة اخرى وسأذهب ارجوك .
فقال :
ـ حسنا ! . اسرعي اذن .
ومالت فوق رأسه وعضت أذنه ، فقال :
ـ اذهبي الآن .
ونهضت باتريشيا وعادت الى غرفتها التي بدت لها خانقة ، فخلعت ملابسها ، وعادت الى الفراش .

وراحت تحدق في الظلام ، وتحدثت نفسها عن رحلة الغد ، وكيف سترى الجبال والمدن .

فقال الرجل السامى :

ـ انها من أهل الشمال ، وقد تزوجت ولا بد أن زوجها كان متقدما فى السن عندما تزوجها ».

فقال فيرتشايلد :

ـ ماذا تعنى بهذا القول ؟ ».

فقال الرجل السامى :

ـ إن اسرتها أرغمتها على الزواج من موريز العجوز وقد اختفى عام ١٨٦٣ ، وعندما انتهت الحرب عاد على جواد وسرج تابع لفرسان الجيش الاتحادى ومعه مائه ألف دولار ».

ولا احد يدرى من أين حصل على هذا المبلغ ».

ولكنه استطاع ان يقف على قدميه من جديد ».

ولم يقم موريز باظهار نفسه للآخرين الذين اعتقدوا انه جبان من الناحية الأدبية وانه كان يخفى النقود فى مكان ».

ثم انتشرت شائعة حول عقد عدة صفقات لبيع الأراضى وحصل على ثروة واسم خلال تلك السنوات التى اعقبت تولى الجنرال بتلر القيادة المحلية ».

وعندما انجلت السحب تضاعفت ثروته بحيث لم تؤثر عليها الشائعات أبدا وبعد عشر سنوات اصبح من أصحاب الأراضى وكان شخصا ذكيا ».

وتقول الرواية :

ـ ان أباها حضر الى نيو أورليانز فى رحلة للعمل مع توصية من واشنطن ».

وكانت هى صغيرة الجسم حينئذ واعتقدت ان اباها حضر الى الجنوب فى مهمة من الحكومة ».

ويبدو ان الأسرة وجدت الجو ملائما فى الجنوب ، وقد احبت الفتاة شابا مفلسا ».

ولم يكن الاشراف قد قبلوا موريز العجوز بينهم بالرغم من انه حاول ذلك ولكن لا يمكن ان يتجاهل المرء النقود ».

وهذا ما حدث بالنسبة لهؤلاء الناس ».

وكانت السيدة موريز تقوم بالاشراف على اعمالها وحفلاتها ، وكانت جميلة كما يقولون ، ورسم الفنانون عدة صور لها وضعوها في المعارض وأقبل جوردن وتدخل في الحديث قائلا :

ـ لابد ان الأمر كان شاقا بالنسبة اليها .. ولكن النساء يجابهن كل شيء !.

فقال فيرتشايلد :

ـ ويتمتعن به ! ولكن كيف عرفت كل هذا ؟ .

فقال السامى :

ـ لقد كان يوليوس كوفمان جدى ! ..

فقال فيرتشايلد :

ـ انه لجميل منك أن تخبرنى بذلك ، وكنت لا اطمع فى أن أعرفه .

فقال السامى :

ـ كلا ! ستعرفه فى يوم من الأيام .

ووقف فيرتشايلد أمام التمثال الذى صنعه جوردن وقال :

ـ انه رائع ، لابد انك تتمنى له ان يتكلم ! لعلك تتمنى أن تراه فى صبيحة أحد أيام شهر يوليو وهو يستحم فى حوض مياه حيث الاشجار .. ربما كانت هذه هى الطريقة الوحيدة لكى تنسى احزانك ..

فقال جوردن :

ـ انه لفتاة ليست شقراء ! . انها سوداء جميلة اكثر من النار الملتهبة ..

ثم كف عن الكلام وامسك بزجاجة الشراب والقى بها فى الموقد .

فقال فيرتشايلد :

ـ لا تفعل هكذا !.

فقال جوردن :

ـ انسى الاحزان ، ان المعتوه هو الذى لا يشعر بالألم .

وقف مارك فروست عند الناصية ثائراً ؟ وكان ضوء الشارع يضيء المكان ، فيجعل له خيالا غير متكامل .

ووقف حائراً اذ انه فى ذلك المساء لم يستطع ان يذهب الى حفلة ففكر ان يعود الى المنزل ولكن الوقت كان مبكراً .

وكان مارك يعتمد على الناس الآخرين لتمضية وقته .

فقد تضايق من السيدة مورير وانتابه الذهول .

واذا كان المرء يمت بصلة الى الفن فعليه أن يتناول معها طعام العشاء ولكن هذه الليلة قابلته السيدة مورير بفتور شديد ، فلم تطلب منه البقاء او الذهاب .

ربما كانت تعبة بعد الرحلة !.

ونسى كل شيء عن باتريشيا .

وجاءت الحافلة فركبها وذهب الى أقرب حانوت ليستخدم التليفون واتصل بالآنسة جيمسون فطلبت منه الحضور .

وعندما وصل الى منزلها قالت له :

ـ لقد ذهب الجميع لقضاء نهاية الأسبوع .

فقال مارك :

ـ حسنا ! لست مستعدا لكى اتبادل أطراف الحديث مع والدتك الليلة !.

فقالت الآنسة جيمسون :

ـ وأنا كذلك !.

فقال :

ـ الآن أشعر بالارتياح .

فقالت له :

ـ اخدم نفسك ، فلا يوجد أحد هنا !.

فقال مارك :

ـ هذا رائع ! البيت كله من اجلك ! كم أنا سعيد لاننى غادرت اليخت اننى لن أذهب مرة أخرى .

فقالت جيمسون :

ـ لا تتحدث عن ذلك الزورق . أعتقد أن احدا منا لن يذهب

مرة اخرى لقد تحدثت السيدة مورين صباح ذلك اليوم بطريقـــة لست ادرى كيف أصفها .

فقال مارك :

ـ هل ارسلت سيارة فيرتشايلد ويوليوس الرجل السامى ؟ .

فقالت :

ـ لا ! . لقد كان من الممكن أن يفرقا وما كان باستطاعتها أن تخطر البوليس .

واستأذنت الآنسة جيمسون من مستر مارك فى الغياب لحظة لقضاء بعض شأنها وجلس مارك فروسنت على المقعـــد وراح يدخن لفافة تلو الأخرى دون أن يتحرك حتى أتى على علبة اللفائف كلها ثم نهض .

ولاحظ مارك ان غياب جيمسون قد طال .

وعاد الى مكانه مرة أخرى ، ووقف وراح يدور فى الغرفة بحثا عن لفائف ولكنه لم يجد شيئا .

واخذ ينظر عبر النافذة ، وسمع الساعة تدق الثانية عشرة .

فهرع عبر الباب الى الشارع كيما يلحق بآخر « ترولل » .

ولكنه وجد سيارة الاوتوبيس ، وطلب منه سائق السيارة ... الصعود فركبها ...

- ٩ -

سار جوردن وفيرتشايلد والرجل السامى فى شوارع المدينـــة المظلمة وفوقهم السماء والليل والنجوم .

وكان الفصل ربيعا واشبه بغابة جميلة .

وسار فى الشارع نفسه ثلاثة رهبان .

وعند احد الأبواب وقفت جماعة من النساء ، تفوح منهن رائحة عطرة .

ولكن جوردن لم يعرهن اهتماما .

وتباطأ فيرتشايلد فى السير وكذلك السامى .

فضحكت امرأة ونادته .

ولكن السامى جذبه الى الأمام .

وقال فيرتشايلد :
ـ لا تقف وواصل السير .
وظهر في الشارع ثلاثة رهبان آخرون واسرعوا وراء الثلاثة السابقين ، كما ظهر متسول عند بوابة حجرية .
وارتفع من بعيد صوت فتاة غامض ، يدل على الحزن والشقاء، ثم عرج الثلاثة على شارع اكثر ظلاما .
وراح المتسول يغط في نومه على حين شاهد الجميع تمثالا ذا راس منحوت من خشب الأبنوس .
وقد التفت حوله بعض النسوة يرتدين جلود حيـــوانات وهن مقيدات بأصفاد ويتألمن معا .
وكان الليل حلوا وفي طياته كثير من الأسرار ويخفي كثيرا من الناس .
وكانت المراة التي لا راس لها تعبر عن ألم شــديد ، وعنـــدما اختلطت الأصوات بالظلال ارتفع صوت النساء المقيدات معبـرا عن الألم والشقاء .
وواصل الثلاثة سيرهم .
وتعثر فيرتشايلد فجأة وأوشك أن يسقط فساعده السامي على الوقوف الى الجدار وراح يحدق في الظلام .
وقال :
ـ ان العناصر المختلفة التي تؤلف هذا العالم هي الحب والحياة والموت والجنس والألم .
وبدا صوت القمر الخافت من بعيد .
ووقف الرهبان الثلاثة صامتين على حين راحت الجرذان تتحسس جسد المتسول .

– ١٠ –

قال عامل الآلة الكاتبة وهو يظن ان أحدا يريد أن يوقظه من حلم لذيذ :
ـ أوه فيرتشايلد .
ثم سمع طرقة قوية على الجدار فقال :

ـ اللعنة . ادخل ! من أين جئت الم تمر من هنا منذ عشر دقائق يا عزيزى .

ـ ماذا بك ؟ هل انت مريض ؟.

ووقف تاليافيرو بالباب ثم دخل وجلس فوق أحد المقـــاعد وقال :

ـ اسوأ من ذلك .

فقال فيرتشايلد :

ـ هل انت بحاجة الى طبيب أو الى اى شىء آخر ؟.

فقال تاليافيرو :

ـ لا .. ان الطبيب لا يستطيع مساعدتى .

فقال فيرتشايلد :

ـ اذن ماذا تريد ، اننى مشغول !.

فقال تاليافيرو :

ـ اعتقد اننى بحاجة الى الراحة عندك ، اذا كان هذا لا يزعجك لقد حدث لى شىء مخيف الليلة .

وذهب فيرتشايلد واحضر لتاليافيرو بعض الشراب .

فقال تاليافيرو :

ـ لقد حدث لى شىء مخيف ، لقد كانت فرصتى الاخيرة .

ثم انفجر باكيا وقال :

ـ ان الأمر يختلف ...

فقال فيرتشايلد :

ـ تكلم ! ماذا حدث ؟!.

فقال تاليافيرو :

ـ دبرت الخطة ، وتظاهرت بعدم المبالاة ، وقلت ، اننى لا ابالى بالرقص الليلة فقالت تعال ، هل تعتقد اننى خرجت معك لأجلس فى حديقة .. وعندما حاولت ان اضع يدى حولها ....

فقال فيرتشايلد :

ـ حول من ؟.

فأجاب تاليافيرو :

ـ حولها ! ثم حاولت ان اقبلها .
فقال فيرتشايلد :
ـ أين حدث ذلك ؟.
فقال تاليافيرو :

ـ فى العربة ، فلم تكن لدى عربة خاصة ، وقد ابعدتنى عنها ثم قمت لأرقص معها وكانت تميل برأسها هنا وهناك ونحن نرقص فقلت لها :

ـ فى ماذا تفكرين ؟ .
فقالت :

ـ من ؟ . أنا ، فى ماذا أفكر ؟ .
ثم شاهدتها تبتسم وتنظر خلفى .
فقلت لها :
ـ انك تفكرين فى .
ـ أنا أفعل ذلك .
فقال فيرتشايلد :
ـ يا السماء .
فقال تاليافيرو :

ـ وقلت لها لقد سئمت المكان فترددت ولكنها وافقت وطلبت منى أن أذهب واستدعى عربة . واستدعيت عربة واعطيت السائق عشرة دولارات وانتظرتها لكى تحضر لتركب معى العربة وعدت الى المكان فلم أجدها وذهبت الى « صـالة » الرقص فلم اجدها فى البداية ولكننى رايتها تراقص أحد أصدقائها . ولم أدر ماذا أفعل ؟ .

ولوحت لها بيدى فطلبت منى أن أنتظر حتى نهاية الرقصة ولم تحاول أن تنظر نحوى مرة أخرى .

واستبد بى الغضب وذهبت نحوها .
فقالت :

ـ آه ! لقد اعتقدت انك ذهبت فطلبت من هذا الرجل ان يذهب بى الى المنزل متفضلا مشكورا .

فقال الرجل :

ـ سأفعل هذا ؟»

فقلت :

ـ ومن هو ؟

فقالت :

ـ انه أحد معارفي »

ونظر الى نظرة غضبى .. الا اننى تجاهلته وقلت بحزم :

ـ هيا بنا يا آنسة ! ان السيارة فى الانتظار »

فقال الرجل الآخر :

ـ هل تريد أن تأخذ فتاتى ؟»

فقلت له :

ـ لقد حضرت معى »

فقالت لى :

ـ اذهب ، انك تعبت من الرقص ، وانا لم اتعب بعد فسأبقى لأرقص مع هذا الرجل اللطيف .»

طاب مساؤك .»

وعادت تبتسم ، وايقنت أنهما يسخران منى »

وقال ذلك الشخص :

ـ اذهب يا عزيزى وعد غدا »

واردت أن أنهال ضربا عليه ولكنى تذكرت مركزى فى المدينة واصدقائى ، فنظرت اليها وانصرفت »

وعندما نزلت الى اسفل وجدت العربة قد انصرفت »

فنظر فيرتشايلد الى مستر تاليافيرو نظرة صارمة وقال :

ـ اذهب الى الجحيم ، لقد جعلتنى اشعر بالسأم »

فقال تاليافيرو يائسا :

ـ ماذا سأفعل ؟»

فقال فيرتشايلد :

ـ اذهب لحالك !»

وقام الرجل بمرافقة تاليافيرو حتى الباب ، حيث وقف وراح ينظر الى الآلة الكاتبة .

وراحت قطة كانت فى المكان تنظر اليه شزرا ، ثم فرت هاربة فسار فى اثرها والشقاء والحسد يملآن قلبه .

وقال يحدث نفسه :

- إن الحب سهل بالنسبة الى القطط .

وتنهد وسار متكاسلا آسفا . وانطلق يجوب الشوارع حيث الظلام .. وقال :

- انني اتساءل عما اذا كانت تسخر مني ؟.

ربما كان ذلك لان السن تقدمت بى ولكنى اعرف الكثيرين يحصلون على رغباتهم بسهولة ، وهم يقولون ذلك وهو شيء لااملكه، ولم يكن لدى ذات يوم .

واخذ تاليافيرو يستعرض مسالة الزواج من جديد على اساس انها الحل الرئيسي لمشكلته .

واسرع الى البيت حيث خلع ملابسه وراح يقول :

- لابد أن يكون هناك شيء !... لقد افتقدت شيئا أقوله أو أقوم بعمله !.

وراح يدهن نفسه بسائل له رائحة النعناع .

وقال :

- هل يجب أن أصبح عجوزا حتى أصل الى هذا الشيء ؟.

وذهب الى الحمام وملأ حوضا بمياه دافئة .

ثم ذهب الى المرآة وراح يمعن فى النظر فى وجهه فوجد أن وجهه ينم عن عمره الذى بلغ ثمانية وثلاثين عاما .

فأخذ يتنهد ويرسل الزفرات .

ثم وضع قدميه فى الماء فشعر براحة .

وراح يقول :

- لقد كانت خطتى مدبرة ، فأين كان الخطأ ؟ . لقد اعترف فيرتشايلد بانها خطة محكمة ، دعنى أفكر ، وحملق فى صورة على الجدار لزوجته السابقة .. لماذا لم تنفذ الخطة مثلما قدرت . لقد

كنت لطيفا جدا معها .. لقد كنت أقيم الحفلات .. ونصبت نفسي خادما أمينا .. ان الطريقة هي معاملتهن بقسوة ! . والتسلط عليهن منذ البداية .. والا نسمح لهن باستخدام الالاعيب والخداع . ان الطريقة القديمة هي النادى . وهذا هو محك الشبر ، وجففت تاليافيرو قدميه وقال :

ـ هذه هي الحيلة !

وقال وهو يحدث نفسه :

ـ فيرتشايلد .. انني آسفة لازعاجك . ولكنى توصلت أخيرا الى الطريقة .. لقد تعلمت ذلك بخطأ ارتكبته الليلة . وهو انني لم اكن جريئا . كنت اخشى أن تهرب معى .. اسمع . ساحضرها الى هنا ، ولن أقبل أى رفض او عذر . سأكون قاسيا عنيفا . ومتوحشا اذا لزم الأمر حتى تتوسل وتطلب حبى ! . فما رأيك في ذلك ؟ »

وارتفع من بعيد صوت نسائى يقول :

ـ عاملهن بقسوة أيها الولد الكبير .. !

« تمت »



الدار القومية للطباعة والنشر